AUB LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

A.U.B. LIBRARY

892.78
Ha537yA
C.1

محمد يوسف حيمود

يوليوس قيصر

سلسلة الكشاف الادبية

٣

58327

مطبعة الكشاف بيروت

١٩٣٨

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

الطبعة الاولى

— جميع الحقوق محفوظة —

المصادر

التوراة — القرآن

تفاسير — تواريخ

رسم المؤلف

... الى

فتى الربيع ...،

ارفع زهرة من زهرات

ربيع الحياة ... «محمد»

الإهداء

الى التى اعدتنى للحياة ،

الى جمعية المقاصد . . .

فى شخص رئيسها :

عمر بك الداعوق

هديـــة

لقد عدت بنفسي الى عهود ذابت في خضم الفناء ، واخذت ابحث عن كنوز دفينة مطوية في غلاف الدهور، علني اجد رمادها فاحمله واذره على صفحات الحياة ، هدية للجديد .

رحت انقب في قبور الايام، حيث تنام الاجيال باسرارها ، فعثرت على هيكل قديم بال ، وها نذا اقدمه اليك ايها القارىء ، جسماً حياً ، قد كسوته لحماً ، ونفخت فيه روحاً ...

هنا روح ثائرة ! ... حمحمت ردحاً من الزمن، وها هي تنفجر ! .. وارواح تترجح بين الظهور والكتمان ، تظهر لذوي الافئدة الرائية الذين لامست وجوههم اشعة العهد الجديد ، وتخفى على ذوي القلوب العمياء الذين يولون وجوههم شطر ظلام العهد القديم ...

هذه هدية الامس الى اليوم ، اودعتها كتابي هذا ، اقدمها للقاريء على كف الامين ...

— ايار ١٩٣٨ —

محمد يوسف حمود

... نحن نقص عليك احسن القصص ...

(آية)

يوسف

– في ارض كنعان –

١

الوقت اصيل . في حقل من حقول دوثان . قطعان من الغنم ترعى الكلأ . الرعاة منبثون بينها ، والجميع منصتون الى انغام مزمار الراعي نفتالي .

– يبدو يوسف الصغير قادماً عن بعد –

روبين – هوذا اخونا يوسف .

يهوذا – اين هو ؟

روبين – هناك .. انظره قادماً قرب الرابية ، الا تراه ؟

يهوذا – بلى بلى .

دانا – منتبهاً – اتى صاحب الاحلام !

شمعون – باسماً – اي والله صدقت ، اتى صاحب الاحلام .

جادا – يعثر في طريقه – اتى واتى الشر معه !

الجميع – صدقت ، صدقت !

نفتالي – الان يقطع علينا سرورنا !

اشير – لا تعبؤا به ، ولنتابع لهونا .

زبولون – الرأي ما قال اشير .

لاوي – غنِ يا دانا اناشيد الحياة ..

يساكر – هات يا نفتالي ، اين مزمارك ؟ اين انغام الرعاة ؟

اشير – ارقصوا ، ارقصوا ، لا يشغلنكم مجيئه ، هلم يا شمعون هات يدك ، تقدم يا زبولون ، تعال يا لاوي .

– يبدأون بالرقص والغناء .
يتقدم شمعون ويهوذا الى الحلقة –

يساكر – اهلا بشمعون .
يهوذا – ها نذا آت .
لاوي – يهوذا اهلا . جادا اتى ايضاً .
جادا – نعم اتيت ، لكن روبين لم يأت !
شمعون – ما بال روبين ؟ !
زبولون – تعال يا روبين !
جادا – الى روبين – سررت بمجيء يوسف ؟
روبين – بغضب – اسكت ياجادا ! لكل حده ، ولكل وقت لونه !
اشير – الى جادا – دعه يا اخي .
جادا – الى اشير – لماذا ينتهرني ؟!
اشير – الى جادا – نحن ولدا جارية امه !
جادا – الى اشير – ولكننا ابناء اب واحد !
دانا – بهزء – لقد اغضبه كلامك القاسي ، دعه يحتفل بقدوم يوسف !
يهوذا – وانت يا دانا ، ما كان اغناك عن الكلام !
دانا – بغضب – ولِمْ ؟
نفتالي – الى دانا – لانك يا أخي ابن جارية راحيل !
روبين – هوذا يوسف اقبل ، كالنجم يتألق ، وكالملاك يتهادى .
اتركوا حلقة الرقص وتعالوا نر ما يحمل الينا من الاخبار .

دانا – احلام ..

جادا – اجل ، احلام ..

نفتالي – لنمض في لهونا . اشيحوا بانظاركم عنه !

اشير – عودوا الى الرقص والغناء ، ما لكم وليوسف وروبين .

روبين – تعالوا يا اخوتي لا تعصوا لي امراً .

دانا وجادا ونفتالي واشير – بصوت واحد – لا لا ، دعنا نرقص ، دعنا دعنا !

– يعود الجميع الى الرقص الا روبين .
يقترب يوسف منهم بقميصه الملون –

روبين – الى يوسف – اهلا ، هل من جديد يا أخي ؟

يوسف – لا ، جئت لازوركم .

– تقف حركة الرقص –

زبولون – قميص ملون !

يساكر – هذا هو الجديد !

شمعون – في كل يوم له ثوب جديد !

اشير – اما نحن ؟ نحن الرعاة البائسين ؟!

جادا – الى اشير – نحن إبنا زلفة !

داناونفتالي – ونحن إبنا بلهة !

الباقون – الا روبين – ونحن ابناء ليا !

لاوي – يقترب بغيرة وحسد ، ويمسك بطرف القميص – ما اجمله !

جادا – يتبعه – وما امتنه !

نفتالي – يتقدم ويمسك بيوسف – ارني يا يوسف !

– يسرع اشير ويقذف بنفتالي على يوسف ، فيقع الاثنان على الارض ، ويضحك الجميع الا روبين . ثم ينهض نفتالي ضاحكاً ، اما يوسف فيظل مطروحاً على الارض ، باكياً ناظرا تارة الى قميصه الملوث بالوحول وتارة الى روبين نظرة الطفل الساذج القاصر –

يوسف – بصوت يخنقه البكاء – سأقول لأبي ، سأخبره بان اشير ونفتالي رميا بي الى الارض فتلوث ثوبي الجديد !

روبين – قم يا اخي ، هات يدك ، لا تبك ، انهض يا يوسف ، يارب ..

يوسف – ناهضاً باكياً – يا رب ...

يهوذا – اتبكي يا يوسف ؟ !

شمعون – نحن نلعب يا أخي !

اشير – عفواً يا يوسف .

روبين – في نفسه – عفواً ! وكم ذا من الرجال ليست بعقولها سوى اطفال !

نفتالي – الا تتحمل اللعب ؟ !

جادا – لا وكيف يلعب مع الرعاة وهو ابن الدلال ؟ !

دانا – كيف يلعب معنا وهو ابن راحيل ؟ !

– يمسك روبين يد يوسف ويأخذه ناحية ويأتيه بحمل صغير –

روبين – هذا لك يا أخي ، العب معه ، انت جميل مثله ، انت وديع يا يوسف .

– يسر يوسف ويطوق الحمل بذراعيه –

يوسف – الى روبين – هذا لي يا أخي؟ .آخذه معي ؟ اينام معي الليلة؟
يساكر – ضاحكاً – ويلبسه ابوك ثوباً ملوناً !

– دانا ونفتالي في جهة ، جادا واشير على حدة ، والباقون في ناحية . الجميع يتغامزون والحسد يدب في قلوبهم .
روبين مع يوسف يلاعبه ، والحمل في حرج يوسف –

روبين – قص علي قصة يا أخي .
يوسف – ها ها .. اسمع يا روبين ، حلمت الليلة حلماً .
روبين – صحيح ؟ هات قصه عليَّ ، تعالوا يا اخوتي تعالوا ، لقد حلم يوسف الليلة حلماً !
يوسف – حلماً لذيذا ..
روبين – حلماً لذيذاً ، تعالوا ، يهوذا ، يساكر ، جادا ، نفتالي ، تعالوا كلكم يا اخوتي .

– يسرعون ليستمعوا الى حلم يوسف –

جادا – هات يا صاحب الاحلام !
دانا – في كل يوم منام !
زبولون – اسمعوا الآن اسمعوا . آن وقت الاياب الى النزل ، الشمس

مالت للغروب ... تكلم يايوسف .

يوسف – في ليل البارحة ، بينما كنت نائماً ، رأيتكم جميعاً .

جادا – بمكر – كلنا ؟ !

يوسف – كلكم .

دانا – وانا ايضاً ؟

يوسف – وانت ايضاً .

دانا – يا للمصيبة ، ليتك لم ترني !

روبين – قل يا يوسف ، تكلم يا اخي .

يوسف – رأيتكم في الحقل تجمعون الحطب ، كلكم يحزم حزمة .

زبولون – لماذا ؟ !

يوسف – لتحملوها الى البيت .

نفتالي – طبعاً ، السنا خدمه وخدم امه وابيه؟!

اشير – ثم ؟

يوسف – ثم احببت ان اساعدكم في العمل .

لاوي – غريب والله ! وكيف كان ذلك ؟!

زبولون – تواضعاً ...

– يضحك الجميع –

يوسف – وعندما انتهينا من حزم الحطب ، انتصبت الحزم .

يساكر – مقاطعاً – اسمعوا الخلط !

روبين – بغضب – اسكت يا يساكر ! ما اسرع عدوى الاخلاق

في تسربها الى الاخلاق !

نفتالي – بتهكم – روبين مؤمن بصدق ما يقوله يوسف !

روبين – نعم ، انتم يا يوسف .

يوسف – انتصبت الحزم ، وتطاحنت ، فـاذا حزمتي تنتصر وتلقف حزمكم وتبتلعها !

البعض – بسخرية – لله درك ! لله درك من فارس !

اشير – هذا هو منام اليوم ؟

يوسف – نعم يا اخي .

دانا – بهزء – فالى الغد .

زبولون – الى منام الغد !

روبين – اجمع الغنم يا يهوذا ، اسرع يا شمعون ، ها هي الشمس تودعنا .

دانا – اين غنمنا يا نفتالي ؟ اجمعه .

اشير – هذا هو قطيعنا يا اخي ، فلنسر في المقدمه .

الجميع – هؤ ، هؤ ، تر ، هؤ ، تر ...

– تتحرك القطعان قافلة الى الديار يتقدمها الجميع ما عدا روبين ويوسف فيظلان في المؤخرة –

يهوذا – اني ارى في يوسف ، رجلاً نادر الوجود ! وعظماء الرجال يتراءى نبوغهم في طفولتهم ، ومستقبلهم كالزهرة يتفتح مفترا عما يكن لهم .

شمعون – أراه سيدا مطاعاً ونحن له خاضعون .

جادا – حقاً ان احلامه ، لتنبيء بمستقبله الجميل ! والاحلام تصدق ان هي صدرت عن قلب طاهر لم يدرك الحياة واوحالها ..

دانا – ان احلامه لتعده بسلطان عظيم !

زبولون – قد يصبح ملكا علينا !

اشير – ونكون له صاغرين كالعبيد !

نفتالي – لن ندعه مطلقاً ، لن يكون سيداً ، ولا راعياً مثلنا !

لاوي – ماذا نفعل ؟

يهوذا – ماذا تفعلون ؟!

نفتالي – نقضي عليه ، وفي الهواء نذري لحمه وعظامه !

يهوذا – اعوذ بالله !

شمعون – لا لا ! هذا اخونا ابن ابينا ، فكيف نقتله ؟!

يساكر – لعنة الله على الشيطان ، أنبغض اخانا ؟ أنسفك دمنا بيدنا ؟!

دانا – ولمَ لا نقتله فيعتبر ابونا ويرعوي عن خطأه ؟ !

اشير – « يوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ؟ ! »

نفتالي – « ان ابانا لفي ضلال مبين ! »

جادا – « اقتلوا يوسف ! »

يهوذا – « او اطرحوه ارضاً يخل لكم وجه ابيكم »

دانا – « وتكونوا من بعده قوماً صالحين . »

زبولون – لنستشر روبين في هذا الامر ، فالمشورة خير وأبقى .

نفتالي – ألا تراه لا يفارق يوسف ؟ !

يساكر – ألا تراه ينحيه عنا ولا يدعنا نمسه ؟ !

دانا – مهما يكن من الامر فان علينا ان ندعوه ونستشيره في هـذه القضية ، فرب رأي في موضعه يسحق قوة صلدة ، ورب شورى عند اربابها تغير وجه الحياة !

يهوذا – قد يخالفنا ويخبر بذلك اباه فيمنع عنا يوسف !

جادا – جذافاً – نقتله معه !

شمعون – بغضب – قاتلك الله !

لاوي – بسخط – والله أمزقك تمزيقاً !

يهوذا – بحرارة – أي ورب ابراهيم !

– تكاد المشاجرة تقع –

نفتالي – منادياً – روبين ، تعال يا روبين تعال .

– يتقدم روبين ويهم يوسف باللحاق به ، ولكنه لا يستطيع ان يحمل الحمل فيظل معه بعيدا عن اخوته –

روبين – ماذا تريدون ؟ !

اشير – اسمع يا روبين ، ان هذا الطفل سيصبح يوماً ما ذا نفوذ في ارض كنعان ،

نفتالي – مقاطعاً – بل سيداً من اسيادها الحاكمين المتسلطين !

روبين – وهذا ما أتوسمه انا في طلعتـه واحـلامه ، فماذا في الامر من غريب ؟ ! اليس يعقوب ابونا نبياً ؟ واسحق جدنا من قبله ؟

وابراهيم جد ابينا ، اليس من انبياء الله الصالحين ؟ !

يهوذا – بلى بلى ! نحن ابناء اسرة باركتها النبوة ، وخصها الله برحمته ، واختارها لتهدي خلقه .

روبين – اذاً لنهني اخانا يوسف بمستقبله ، فقد يصبح سيداً ، وقد يصبح ملكاً ، وقد يكون نبياً ، فلا غرابة في الامر ولنا في ذلك فخر يخلد في ارض كنعان .

نفتالي – بدهاء – وقد نصبح له عبيداً صاغرين اذلاء !

روبين – من قال هذا ؟ واذا صح ما تقول ، فهل لقضاء الله من راد ؟

نفتالي ودانا ، وجادا واشير – بغضب – اجل ! لن نكون عبيداً ليوسف !

دانا – نقتله فنريح انفسنا من حياة ملوءها الذل والهوان !

روبين – الهذا تدعونني ايها الظالمون ؟ ! تباً لكم ما اقسى قلوبكم ! ألا بئس ما تكنه ضمائركم ، وبئس ما تضمرون ! الا بئست حياتكم يا بني اسرائيل ، فكلكم ماكر لاخيه غادر فلن تقوم لكم قائمة ، ولن تنعم لكم ذرية ! . . .

نفتالي – محرضاً – اترضون بان يسود كم يوسف ؟ !

الجميع – الاروبين – لا !

نفتالي – اترضون ببقائه بينكم ؟ !

الجميع – الاروبين – لا !

نفتالي – اذاً ماذا تفعلون؟

الجميع – الاروبين – نقتله !

نفتالي – وروبين ؟ !

الجميع – ليفعل ما يشاء !

روبين – هدؤا من ثورانكم ، اسمعوا يا اخوتي ، اتريدون ان تقصوه عنكم ؟

الجميع – اجل ! اجل !

روبين – مذعناً كرهاً – « لاتقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين . »

يهوذا – نعم الرأي .

زبولون – نرضى بهذا .

نفتالي – ما رأيك يا اشير ؟

اشير – لا بأس .

يساكر – رضيت يانفتالي ؟

نفتالي – نعم ارضى ، هلم نطرحه في تلك البئر .

روبين – لا ، لنرجي عملنا هذا الى الغد .

نفتالي – ها ! ليكون معك متسع من الوقت فتخبر بذلك ابانا فيمسكه عنا ؟ ! هذه فرصة سانحة ، لن نرى يوسف بعد اليوم معنا الا بعد امد مديد . ان ابانا يحبه ولا يدعه يخرج من الدار فلنرمه الآن في ذاك الجب . . .

روبين – لا يا اخي ، اخاف ان يمر الآن احد من سكان قرانا يعرفه فينتشله ويعيده الى ابينا فتظهر مؤامرتنا ويفتضح امرنا . غداً نحضر يوسف معنا ونطرحه في الجب فيلتقطه بعض المسافرين

من المديانيين التجار .

نفتالي – آتنا موثقاً من الله انك لا تخبر ابانا بما نريد ، وانك تأتي بيوسف من البيت في الغد .

روبين – اقسم بالله رب ابينا اسرائيل .

–تسير القطعان والرعاة نحو التل
فيحجبهم خيال الغروب–

صوت الله – « .. والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ! .. »

٢

بعد الغروب في شكيم . بيت يعقوب .
يعقوب في داره يفكر تفكيرا عميقاً .

- تدخل راحيل حاملة ابنها بنيامين -

راحيل — ها قد اقبل الليل ، ولما يأتي يوسف !

يعقوب — لعل اخوته يرعون الغنم في جهة نائية .

راحيل — مهما يكن فقد آن وقت العودة . احس بقشعريرة في جسمي ، وبانقباض في قلبي !

يعقوب — لاخوف عليه فهو مع عشرة اسود ، هدئي من روعك يا ام يوسف .

راحيل — وانما خوفي من الاسود والذئاب ! أليس حفريم بن سامان اكبر منه سناً ؟ اولم يأخذه الذئب اليوم ؟ !

يعقوب — لا خوف عليه .

راحيل — ان اذني لترن بشدة !

يعقوب — هذا دليل مجيئهم ياراحيل

- تسمع اصوات القطعان من بعيد -

يعقوب – ها ، اسمعي يا راحيل ، هذا ثغاء الخرفان .

تقترب الضوضاء في الخارج

يعقوب – هذا صوت شمعون ، وهـذا صراخ جادا ، اسمعي مزمار نفتالي ، هاتي بنيامين ، واخرجي أتي بيوسف .

– تعطي راحيل ابنها لابيه وتخرج ،
فتلتقي يوسف داخلا مسرورا –

راحيل – الى يعقوب – هذا يوسف قد اتى .

– الى يوسف – الى اين صار بك المسير يا ولدي ؟!

– يركض يوسف الى ابيه ، وينحني
على يده يقبلها ويجلس في حرجه

يعقوب – اهلا اهلا ، اين كان اخوتك يا يوسف ؟

يوسف – في دوثان يا ابي .

راحيل – في دوثان ؟! ذهبت الى دوثان يا بني ؟ ولم ؟!

يوسف – فرحاً – لارى اخوتي وقطعاننا .

– الى اخيه بنيامين – بنيامين ، اخي ، جئتك بحمل صغير مثلك .

– الى ابيه – أدخله الغرفة يا ابي ، ها هو في الخارج .

يعقوب – حمل صغير ؟ من اين ومن اعطاكه ؟

يوسف – نعم يا ابي ، حمل صغير ، اعطانيه اخي روبين ، اتدعني اجلبه لينام الليلة معي ؟

– يضحك يعقوب وراحيل –

يعقوب – يوسف الليلة مسرور يا راحيل .
راحيل – ولكنه وسخ ! هذا ثوبه الجديد ملطخ بالوحل ! يجب ان تقاصصه يا يعقوب !

– تخرج –

يوسف – لا يا ابتي ، انا ما كنت لالوث قميصي الجميل لو لم يرم بي اشير ونفتالي الى الارض !
يعقوب – لو لم يرميا بك على الارض ؟ ! كيف ؟ ! ولماذا ؟ !
يوسف – كانا يلعبان .
يعقوب – لنفسه – كانا يلعبان ؟ ! رباه الهمني الصواب ، رباه طهر سرائرهم ، واغرس المحبة في قلوبهم ، رباه احفظهم لي سالمين يارب ابراهيم ، ان في هذا الظلام لسراً ، وفي هذا البيت لامراً ، وفي ابناء يعقوب لحادثاً جللاً !

– يسود الغرفة صمت رهيب –

يوسف – الى اخيه – تعال يا اخي يا بنيامين ، انا احبك ، احبك كثيراً ، اكثر من كل اخوتي .
يعقوب – دعه يا يوسف ، وماذا فعلت بعدئذ ؟

يوسف – بكيت يا ابي .

يعقوب – ثم ؟

يوسف – ثم جاءني روبين بحمل واعطانيه .

يعقوب – لنفسه – ان الامر لاعظم مما حدث ! اني ارى السماء اضطربت ، فقد حدث حدث عكر صفاءها !

– الى يوسف – قل لي ، ماذا فعلت ايضاً يا يوسف ؟

يوسف – قصصت على اخوتي منام البارحة .

يعقوب – مقاطعاً – قصصته ؟ !

يوسف – نعم ابتاه .

يعقوب – الم امرك ان لا تقصه على احد ؟ !

يوسف – اخي روبين طلب مني ذلك .

يعقوب – لنفسه – لاحول ولا قوة الا بالله ، طفل هو الذي يأتمن طفلا على سر ... رباه انا اسرائيل ابتهل اليك واتضرع الى جبروتك ، آتني من لدنك نوراً وحكمة !

– الى يوسف – وماذا حدث حينئذ يا يوسف ؟

يوسف – ضحك اخوتي وسروا بهذا المنام ، وصاروا مني يهزأون . دعني يا ابي ، دعني الآن الاعب اخي بنيامين .

– الى بنيامين – متى تكبر يا اخي ؟ متى تقوى على السير الى دوثان ، والى ابعد من دوثان فنذهب معاً ، ويعطيك روبين حملا ابيض وادعاً ؟

- يمسك يد اخيه -

قف ، قف ، يا الله .

- يقف بنيامين ، ولكنه يعود فيقع -

– الى ابيه – خذه يا ابي ، انا ذاهب الى امي .

- يخرج -

يعقوب – في نفسه – في حراسة الله ، وانا ذاهب الى ربي فيهدين . ايه يا رب ، ما بال النور تعلوه مسحة من ظلام ، ما بال الشعاع الابيض تصده سحائب من الغيوم الدكناء ؟ ! رباه ، لتمر هذه الاشباح المخيفة دون ان تزعج خلقك ، لتنقشع هذه السحب دون ان تذوب في سمائنا فتمطر خراباً ودماراً ، رباه ، عفوك يا رب ابراهيم ، رحماك بذريتي ، لاتشتت بني اسرائيل ، ولا تأخذهم بجرائرهم ! اني اراهم في الكون مشردين ! . . .

- يدخل ابناء يعقوب كلهم جدوء -

الجميع – نعمت مساء يا ابانا .

يعقوب – نعمتم مساء يا بني .

- ينحنون على يديه ويقبلونهما ويجلسون حوله حلقة كبيرة -

نفتالي – تعال يا بنيامين .

- يأخذه اليه فيتقدم الجميع ويلاعبونه -

يعقوب – كيف انقضى نهاركم يا اعزائي ؟ كلكم مسرور ان شاء الله .

الجميع – ان شاء الله .

يعقوب – كيف حال الغنم ؟ عساها بخير يا روبين .

روبين – الحمد لله يا ابي .

يعقوب – وكيف كان خيرها اليوم ؟

روبين – مدراراً والحمد لله .

يعقوب – وانت يا نفتالي ، كنت قلت لي ان لديك ثلاث نعاج حبالى فهل وضعت احداها ؟

نفتالي – نعم يا ابي ، وضعت الشقراء وفاض لبنها .

يعقوب – والخروف الاسود عندك يا جادا ، هل عاد اليه وجعه ؟

جادا – لا يا ابي عاد الى سنته الاولى ، فهو يأكل بشهية زائدة .

يعقوب – احمدوا الله يا ابنائي ، وادعوه يستجب لكم .

الجميع – الحمد لله رب ابينا اسرائيل .

يعقوب – هل سمعتم بحادث اليوم يا بني ؟ !

روبين – وأي حادث يا ابي ؟ !

الجميع – لا ، لم نسمع بشيء ! !

شمعون – لقد بعدنا كثيراً عن شكيم !

يهوذا – ماذا حدث يا أبي ؟ !

يعقوب – بينما كان الولد حفريم ابن سامان يلعب في الحقل بعيداً عن

اهله ، أغار ذئب وأخذه وفر به هاربا !

الجميع – يا لله !

زبولون – الهمك الله الصبر يا سامان ! لها الله من ايام ان هي ابتسمت لحظة ، عبست اخرى ! لها الله من طريق ان هي ذللت لاحد ، عرقلت آخر !

يساكر – ولم يلحق به احد يا أبي ؟ !

يعقوب – لحقوا به بعد ان اختفت آثاره ، وعادوا بعد لأي يندبون !

لاوي – وماذا في بيت سامان ؟ !

يعقوب – بكاء وعويل !

روبين – مضى زمن طويل ، ولم نسمع بهذا الذئب اللعين ، ظنناه فني !

يعقوب – نعم يا أبنائي ، فالشر كامن في كل مكان ، لا نعرف متى ينطلق ، وعلى من يقع ، فأوصيكم بالتكاتف دائما ، لا تتفرقوا ، لا تتخاصموا ، شدوا ازركم ، وكونوا سداً منيعا في وجه الشدائد ، غالبوها واغلبوها ، والا غالبتكم وغلبتكم ، واستعينوا بالله في اعمالكم .

روبين – هلموا نذهب الى دار سامان ، فنعزيه وننظر ما حلّ به وبعائلته .

يعقوب – اسمعوا ، آن وقت الصلاة ، لنذهب كلنا الى بيت الله ، فنصلي ونعود ونقصد بيت سامان معزين ثم نؤوب الى الفراش .

الجميع – هلموا . . .

همس – الصلاة ! الصلاة !

نفتالي – دائما الى الصلاة ؟ !

همس – بتذمر – أبداً الى الصلاة ! ..

يعقوب – اثناء خروجهم ينادي يوسف – اياك يا يوسف ان تخرج منذ الآن من البيت ، فيأكلك الذئب كما أكل حفريم ، أسمعت ؟

يوسف – من الخارج – نعم يا أبي ، نعم ، نعم ...

– يخرجون –

صوت الله – « ... بئس ما اشتروا به انفسهم ، ان يكفروا بما انزل الله ، ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، فباؤا بغضب على غضب ! ... »

٣

قبيل الغروب . يعقوب في داره . يوسف وبنيامين امامه يلاعبها قرب النافذة .

يوسف — مشيراً من الشباك الى الخارج ، يسأل أباه — أبي ، من صنع هذه الغابة الجميلة هناك على كتف الجبل ؟ حقاً انها لكبيرة !

- ينظر يعقوب الى ابنه نظرة عميقة لها معناها -

يعقوب — في نفسه — بدأ يوسف يسير في الطريق المرسل اليها ...

يوسف — لم اسمع يا أبي ، من ؟ أنت ؟ ولمَ لا تصنع لنا غابة مثلها امام دارنا فألعب فيها انا واخي بنيامين ؟

يعقوب — لا يا بني ، لست انا الذي صنعها .

يوسف — اذاً من ؟!

يعقوب — هي هناك من قديم الزمن ، خلقها الله هناك ، وستظل هناك يا يوسف ، لا نعرف متى وجدت ، ولا متى تفنى ، كالكون ان عرفنا مهده عرفنا لحده ، وكالحياة ان ادركنا بدايتها ادركنا نهايتها ...

يوسف – مستفهما – من خلقها ؟

يعقوب – الله الذي خلق كل شيء .

يوسف – واين هو يا أبي ؟

يعقوب – هو في كل مكان ، يرانا ولا نراه .

يوسف – هو وحده خلق هذه الغابة الكبيرة ؟!

يعقوب – نعم يا بني ، وليس له شريك في شيء .

– ينظر يوسف الى ابيه نظرة الدهشة –

يعقوب – مردفاً – أفهمت يا يوسف ؟

يوسف – نعم أبي .

يعقوب – اذن من خلق هذه الغابة ، وخلق جميع العالم ؟

يوسف – الله .

يعقوب – احسنت يا يوسف ، ومن أعانه في هذا الخلق ؟

– ينظر يوسف الى ابيه نظرة الحيران –

لا احد اليس كذلك ؟

يوسف – نعم ، لا احدَ ، لا احد .

– ينقطع الحديث ويلتفت يعقوب الى ابنه بنيامين ، ويلاعبه مفكرا بمصير ابنه يوسف . يبتعد يوسف الى ناحية هادئاً كالمفكر –

يعقوب – في نفسه – هكذا كنت أسأل ابي اسحق اذ كنت صغيراً

وبهذه الاجوبة كان يجيبني . ان هذه الاسئلة الصادرة من اعماق قلب يوسف الطاهر، لتندر ان تصدر عن طفل في العاشرة من سنه ! اذن لا بد ان يكون في هذا الطفل سر ، وسر الهي خطير ، فالنهار نهار يعلنه الفجر ، والليل ليل يعلنه الغروب ! لا بد ان تكون في نفسه الصغيرة نفس نادرة المثال ، لا بد ان يكون لهذا الصبي مستقبل عظيم ، اذا لم يخني تنبؤي .

– ينتفض يوسف كمن افاق من غفلة متجهاً نحو ابيه –

يوسف – الى ابيه – أبي ... أبي ... ومن أخبرك ان الله واحد وانه هو الذي خلق العالم ؟!

يعقوب – لنفسه – حفظك الله يا ولدي !

– الى يوسف – مهلا يا بني ، غداً تعلم عندما تصبح شاباً .

يوسف – لا لا يا أبي ، اريد ان اعلم الان .

يعقوب – جدي ابراهيم يا يوسف .

يوسف – جدك ابراهيم ؟

يعقوب – نعم يا بني ، ابراهيم النبي .

يوسف – ابراهيم النبي ؟ واين هو ؟

يعقوب – توفاه الله يا ولدي .

يوسف – وانى له هذا العلم ؟!

يعقوب – اوحى اليه الله يا يوسف .

يوسف – ولمَ لا يوحي اليك ؟

يعقوب – كذلك يوحي اليّ .

يوسف – وانا ؟

يعقوب – في نفسه ، واضعاً رأسه بين يديه – رباه النور النور ، رباه الهدى والرحمة !

– الى يوسف – يا بني ، ان الوحي لايتزل الا على الانبياء يا عزيزي .

يوسف – ومن هم الانبياء ؟

يعقوب – الى نفسه – رباه رفقاً ! رباه رفقاً !

– الى يوسف – الانبياء هم جدي ابراهيم ، وابي اسحق ، وانا .

يوسف – واخي روبين ؟

يعقوب – لا يا ولدي .

يوسف – ولم يا ابي ؟ ليكن نبيا ، اجعله نبياً يا ابي .

يعقوب – مبتسما – لاتقل هذا يا يوسف بعد الآن ، ان الله فقط هو الذي يختار الانبياء للنبوة .

يوسف – الا يختارني يا ابي ؟

– تدخل راحيل مبتسمة لولديها –

يوسف – لن اقص عليك يا امي هذه القصة الجميلة التي قالها لي ابي الآن !

راحيل – الى يعقوب ضاحكة – اعطني بنيامين فقد اتعبك يا يعقوب .

– تأخذ ابنها بنيامين وتخرج –

يعقوب – الى يوسف – الآن يأتي اخوتك يا يوسف ، وسنخرج مساء الى الصلاة في بيت الله .

يوسف – مقاطعاً – في بيت الله ؟ اترونه هناك ؟ !

يعقوب – لا ياولدي ،هناك نصلي لله فقط ونعود نمتع انظارنا بما خلق الله ونشاهد الكواكب تلمع في السماء ، والقمر وقد طلع من وراء الجبال ،

يوسف – مقاطعاً – اسمع ، اسمع يا ابي !

يعقوب – ما بالك ؟

يوسف – ذكرني كلامك الآن برؤيا الليل الفائت .

يعقوب – برؤيا الليل الفائت ؟ ! قصها يا ولدي ، ما هي هذه الرؤيا ؟ !

يوسف – « يا ابت اني رأيت احد عشر كوكباً » ،

يعقوب – مقاطعاً – احد عشر كوكباً ؟ ! وماذا ايضاً ؟ !

يوسف – « والشمس والقمر » ،

يعقوب – مقاطعاً – وكيف رأيتها ؟ !

يوسف – « رأيتهم لي ساجدين »

يعقوب – رأيتهم ؟ !

– لنفسه – رأيتهم ،رأيتهم ! رأى احد عشر كوكباً ، والشمس والقمر ، رآهم له ساجدين ! ايه رباه ، احفظه يا رب ابراهيم ،

يارب هذا بصيصه يلمع في افق روحه ، وعما قريب يتأجج فيضي. الكون ، رباه رحماك يا الله !

– الى يوسف – « يا بني لاتقصص رؤياك على اخوتك ! »

يوسف – ولم يا ابت ؟ !

يعقوب – « فيكيدوا لك كيداً ، ان الشيطان للانسان عدو مبين ! »

يوسف – وماذا في هذا الحلم من غريب ؟ في المساء اخرج معك ، ومع اخوتي ، ونشاهد الكواكب في السماء كما رأيتها في الرؤيا .

يعقوب – اياك يا يوسف ، ان تقص رؤياك على اخوتك ! اسمعت ؟ !

يوسف – سمعاً ابتاه .

يعقوب – لنفسه – « وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ، ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق ، ان ربك عليم حكيم . . . » لا ، لن اصبر حتى يأتي اولادي ، سآخذه الآن الى بيت الله ليباركه الله برحمته ، ويحفظه بعنايته وافوض امره اليه ، فلا اخاف عليه كيداً ولا شراً ، فالله الحافظ متى شاء ، والله المهلك ان اراد !

– الى يوسف – قم يا يوسف ، قم معي انزهك قليلا .

يوسف – ناهضاً – واخوتي ؟

يعقوب – عندما يؤوبون ، يذهبون .

– يخرج الاثنان –

يعقوب – اثناء خروجهما ينادي امرأته – راحيل ، يا راحيـل ، هاءنذا خارج ويوسف الى النزهة .

راحيل – من الخارج – بالامان ...

– تخلو الغرفة . بعد مدة يدخل ابناء اسرائيل ، يتقدمهم روبين ، فلا يرون احدا –

نفتالي – لا أحد في الدار ؟

اشير – قد تكون راحيل في الغرفة الثانية .

يهوذا – نادها يا روبين .

روبين – خالتي ، اين انتم يا خالة ؟

راحيل – داخلة – اهلاء كيف حالكم يا احبائي ؟

– يتغامز كل من دانا ونفتالي وجادا واشير ، وينظرون اليها نظرة البغض –

لاوي – اين ابونا يا خالتي ؟

راحيل – خرج ويوسف الى النزهة ، وسيعودان عما قريب . اجلسوا وعما قليل يأتيان .

– تخرج ويجلسون –

نفتالي – صه ! اسكتوا جميعكم ، اجلسوا ، تعال يا روبين ، هاءنذا اخاطبك امام الجميع .

دانا – حقاً ، اسمع يا روبين .

جادا – تكلم يا نفتالي .

روبين – ها.نذا مصغٍ .

شمعون – كلنا مصغون الى حديث نفتالي ، فقد آن الاوان !

نفتالي – لولاك يا روبين ، لأرحنا انفسنا منذ شهر !

يساكر – اجل ! اجل !

دانا – ولكنا قضينا على يوسف وانتهينا منه وحولنا محبة ابيه له الينا !

نفتالي – قلت لا تقتلوه ،فقلناسمعاً وطاعة،قلت لناان اطرحوه في الجب فقبلنا برأيك ، واقسمت برب اسرائيل ان تأتي بيوسف في اليوم التالي .

البعض – بهزء – رب اسرائيل ! رب اسرائيل !...

نفتالي – متمما حديثه – وها هو الشهر يمر ولم تفعل شيئاً ، وهكذا من اعتمد على غيره اضاع كل ما يصبو اليه !

روبين – ألم اقل لكم ما منعني عن ذلك ؟! أولم تروا اباكم شديد الانفعال والخوف علينا من ذلك الذئب الذي اخذ الولد حفريم ، فظهرت من خلال كلامه شدة حذره على يوسف الصغير ؟!

يهوذا – بلى ، بلى ..

روبين – لقد قلت لكم هذا ، في اليوم التالي .

نفتالي – والآن،وقد اتينا خصيصاً لطلبه من ابينا ، ماذا انت فاعل ؟ !

روبين – الآن اجرب ان اطلبه .

نفتالي ودانا وجادا واشير – بصوت واحد – تجرب ؟ تجرب ؟ !

اشير – بل عليك ان تطلبه الليلة !
دانا – والا كان لنا معك شأن آخر !
لاوي – الى روبين – اطلبه يا اخي .
زبولون – اخفضوا اصواتكم لئلا تسمعنا راحيل .
شمعون – اني لاسمع حركة في الخارج .

– يقف ويفتح الباب ، فيرى اباه
ويوسف قادمين –

هذا ابونا يا اخوتي ، وهذا يوسف معه .

– يقف الجميع وقفة اجلال
وخشوع لابيهم –

همس – انظره غارقاً في الدلال !.. انظره في رفاهيته ونزهاته ! ..
يعقوب – داخلا – انعم الله مساءكم .
الجميع – نعمت مساء يا ابانا .

– يجلس يعقوب، ويجلس بقربه
يوسف و يجلس الاخوة الباقون –

يعقوب – باسماً – ارى وجوهكم فرحة ضاحكة !
الجميع – نعم والحمد لله .
يهوذا – اين كانت النزهة يا ابي ؟
نفتالي – بكر – حيث اراد يوسف !

دانا وجادا واشير – اجل ! اجل ! . . .

يعقوب – قادتنا اقدامنا الى باذان ، ثم عدنا .

روبين – اظنك تعباً يا ابي .

– الى اخوته – ابوكم تعب من السير فدعوه يسترح في فراشه .

نفتالي – مقاطعاً – ونحن تعبون ايضاً ! هلم يا روبين !

روبين – يفهم معنى عبارة نفتالي – يا ابي ان اخوتي يودون ان يأخذوا يوسف معهم غداً .

نفتالي – نعم يا ابي ، فهو اخونا كما هو ابنك !

اشير – حقاً يا والدي .

يعقوب – دعوه عند امه يلاعب اخاه بنيامين .

زبولون – نحن نسر يا ابانا عندما نرى اخانا معنا نلاعبه ونضاحكه ، فيعيد الى قلوبنا حيويتها المائتة ونشاطها المستنفد !

يعقوب – منتقلا بنظره تارة الى يوسف وطوراً الى اخوته – اتذهب معهم يا يوسف ؟

يوسف – الى روبين – اتعطيني ياروبين حملا صغيراً ؟

– يسكت روبين وينظر الى الارض –

نفتالي – باندفاع – نعطيك حملا ، ونصطاد لك طيوراً وزكبك الحمار .

يوسف – فرحاً – أحق ما تقول ؟!

الجميع – الا روبين – طبعاً ، طبعاً !

يوسف – ولكن أيوقعني اشير ونفتالي على الارض ؟

الجميع – الا روبين – لا لا ! ابداً ابداً !

نفتالي – كنا نلعب يا اخي !

اشير – كنا نمزح يا يوسف !

يعقوب – دعوه ولا تنهكوه بالمسير .

يساكر – واي مسير هذا ؟

نفتالي – لا نبعد كثيرا عن النزل .

يعقوب – لا لا ، لا اعطيكم اياه .

نفتالي – « يا ابانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لحافظون ؟! »

جادا – يخافنا كأننا اعداء له !

زبولون – كأننا لسنا اخوته !

يعقوب – اعوذ بالله ان احسبكم اعداء !

اشير – بشدة – اذاً ؟!

يهوذا – « ارسله معنا غداً يرتع ويلعب »

لاوي – « وانا له لحافظون »

يعقوب – « اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب ! »

الجميع – الا روبين – ونحن !؟

يعقوب – « وانتم عنه غافلون ! »

شمعون – « لئن اكله الذئب ونحن عصبة ! »

الجميع – الا روبين – « انا اذن لخاسرون »

يعقوب – الى روبين – أتحفظونه يا روبين ؟

- ينظر الجميع الى روبين منتظرين الجواب -

روبين - مكرهاً - نعم يا أبي .
يعقوب - غداً تأخذونه ...
روبين - ناهضاً - هلموا الى الفراش ...
الجميع - الى ابيهم - نستودعك الله .
يعقوب - على بركات الله .

- يخرجون -

يعقوب - ليوسف - غداً يا بني تذهب مع اخوتك واياك ان تقصص عليهم رؤياك !
يوسف - لا يا ابي لن اقصها على احد ! انا ذاهب الى امي الان .

- يخرج -

يعقوب - في نفسه - لم اخاف عليه شراً فقد باركه الله ، ولن يصيبه الا ما كتب له ، والله خير الحافظين ...
راحيل - تنادي زوجها - قم يا يعقوب الى الطعام .

- يخرج -

٤

في غرفة من دار اسرائيل . بلهة وزلفه وليا يتناجين . . .

بلهة — والى متى الصبر يازلفة ؟ !

زلفة — نحن يا اخت سواء !

ليا — منذ اسبوعين لم تدس قدماه غرفتي !

بلهة — لقد سحرت راحيل لبه ، لقد استولت اختك ياليا على مشاعره فنسينا واستأثرت به ! . .

زلفة — راحيل زوجة حرة ! راحيل امرأة جميلة ! اما نحن ؟ !

بلهة — نحن امتان يا زلفة ! . . .

زلفة — ذنبنا اننا امتان . ولكن ما ذنب ليا المسكينة ؟ !

بلهة — لقد نفر قلبه منها وعافها تتلوى على جمار العذاب والالم ! . .

ليا — صدقت صدقت يا بلهة ، فوأبي لانتقمن منه ومن اختي !

بلهة وزلفة — الانتقام الانتقام ! . .

ليا — ما هذا الزوج الذي لايراعي حرمة زوجاته ؟ ! كان حرياً به ان يختار لنفسه زوجاً واحداً ، لا ان يزجنا كالحيوانات في داره ! . .

بلهة – يتمتع براحيل وهي تتمتع به ! ...

زلفة – كلاهما يتمتعان ! ...

ليا – لقد نسينا ونسي ابناءنا ايضاً ! ... لايعرف سوى راحيل وولديها يوسف وبنيامين ! ... التزهات لراحيل وولديها ، كل شيء لهم ! ...

بلهة – اما نحن ؟ !

زلفة – نحن جاريات الدار ، واولادنا رعاة الماشية ! ...

ليا – والله لقد طفح الكيل يا اختي ! ...

زلفة – الانتقام الانتقام ! ...

ليا – وكيف ؟

بلهة – ندس السم في الدسم ! ...

ليا – لمن ؟ !

زلفة – له ولها ولولديهما !

ليا – لا ! اختي ! ... راحيل اختي ! ...

بلهة – اذن ؟ !

ليا – ليعقوب وولديه ! ... ليعقوب فقط ! .. ولداه صغيران ، لم يدركا بعد الحياة ! ...

– يدخل يوسف على خالاته مشرقاً –

يوسف – الى ليا – خالتي ، تعالي يا خالتي ، امي وابي بانتظارك ..

زلفة وبلهة – اياك ان تمضي ! ...

ليا – اراهما واعود ...

- تخرج ويوسف -

زلفة – مهما نفر منها وابتعد عنها ، فان لها اختاً تحبها وتقربها منها ..
اما نحن فامتان لم نخلق الا للعمل ، ولا نحيا الا للموت !...

بلهة – ارأيت كيف ضنت باختها !..

- يدخل جادا ونفتالي ودانا واشير -

بلهة – اتيتم في وقتكم ! نحن بحاجة اليكم ...

نفتالي – مري يا امي ونحن طائعون ...

بلهة – وانت يا دانا ؟

دانا – اطوع من بنانك ...

زلفة – وانتما يا ولدي ؟

جادا واشير – مستعدان !

زلفة – ان اباكم لفي ضلال مبين !.. هو لا يعرف سوي راحيل واختها ليا !..

نفتالي – وابناءهما !..

زلفة – ونحن لسنا سوى امتين وجدنا للخدمة !

جادا – ونحن للمرعى خلقنا !...

نفتالي – طفح الكيل !...

الجميع – طفح الكيل !...

بلهة – الانتقام الانتقام !

نفتالي – غداً تشهدان امراً جللا !...

اشير ودانا – في الغد ، وما ادراكما ما في الغد ! ...

دانا – وما ادراكما ما يحمل ! ...

بلهة وزلفة – وماذا في الغد ؟ ! وماذا يحمل الغد ؟ !

نفتالي – سننتقم لكم ولانفسنا !...

اشير – سنطرح يوسف في الجب ، سنقضي عليه !...

جادا – يا امي ، يا خالتي ، ان لهذا الصبي احلاماً غريبة !...

زلفة – واليوم ايضاً سمعته يسرد لاسرائيل حلماً !...

دانا – وما هو هذا الحلم ؟ !

زلفة – لم اسمع منـــه سوى بضع كلمات .. كوكب ، وقمر ... ثم سمعت اسرائيل يحذره من ان يقص رؤياه على احد !...

نفتالي – سوف نرى ...

اصوات – في الغد ! .. في الغد ...

– يخرجون –

٥

ضحوة مشرقة . الرعاة مع غنمهم في طريقهم الى دوثان ، منقسمون الى فرق يتحدثون . يوسف يركب الحمار مسرورا .

اشير – الى يوسف – اركب يا مسكين اركب !

دانا – افرح ، افرح فستكون هذه الساعة آخر ساعات فرحك ! الآن يفتح لك الحزن السرمدي جناحيه ليضمك الى صدره فتذوب في ضبابه المخيف !

نفتالي – تعالوا يا اخوتي ، تعال يا جادا ، يا شمعون ، يا لاوي ، تعالوا كلكم اليَّ .

– يأتي الجميع الى نفتالي بسرعة الا روبين فيجر رجليه جرا –

نفتالي – علامَ قرَّ رأيكم ؟

الجميع – الا روبين – سنمحو آثاره !

نفتالي – وكيف ؟

– يسكت الجميع فيردف نفتالي –

عندي ان نقتله بيدنا .

دانا وجادا واشير – بصوت واحد – نعم نعم .

الباقون – لا لا !

شمعون – نطرحه في الجب .

يهوذا – كما قال روبين .

نفتالي – ما رأيك يا روبين ؟

روبين – بصوت مخنوق متلاش – الى البئر ، الى البئر ...

جادا – اذن هيا بنا ، تابعوا مسيركم .

زبولون – سنصل الى البئر .

يساكر – ها هي هناك وراء الرابية .

– يتابعون السير وكلهم مطرق برأسه الى الارض –

لاوي – مناديا – لا تلوث قميصك يا يوسف ، انتبه لئلا تقع يا اخي .

جادا – مبتسما – ماذا تقول يا لاوي ؟!

لاوي – منتبهاً – والله لقد نسيت !

نفتالي – لنعد العدة لطرحه من الآن .

اشير – أفيحتاج طرح طفل في البئر الى عدة ؟!

دانا – أفيتطلب منا سوى قذفة واحدة ؟!

يهوذا – لا ، لا نقذفه قذفاً !

روبين – لئلا يتألم يا اخوتي !

زبولون – نأخذه بيديه ، ثم نتركه فيهبط توآ الى القعر .

يساكر – لا بأس .

روبين – لا ارضى مطلقاً !

دانا ونفتالي وجادا واشير – بصوت واحد – أفنجن بانتظار رضاك !

جادا – رضيت ام لم ترض !

دانا – سواء لدينا !

لاوي – اعوذ بالله ان نعمل عملا لا يريدنا عليه اكبرنا !

يهوذا – صدق لاوي .

شمعون – بالصواب نطقت .

يساكر وزبولون – ينضمان الى اخوتهما – ونحن على رأيكم .

روبين – يرى الاكثرية طوع امره – اني ارى ان نرعوي عن غينا ، فلا نقتل اخانا في هذه البئر !

الجميع – لا لا !

زبولون – أالى هذا الحد ذهبت ؟!

لاوي – يا اخي يا روبين ، كلنا مجمع على طرحه في البئر ، فما عليك الا ان تدبر لنا خطة ننفذها لتسهيل هذا العمل .

– روبين يفكر . . . –

روبين – اذا كان لا بد من القيام بما تريدون ، فتعالوا اهدكم الى طريقة تسهل لكم مهمتكم ، وتسهل عليه الهبوط .

نفتالي – لقد وصلنا الى البئر .

جادا – الى روبين – تروَّ يا روبين ، أنظرنا لنصل الى باب البئر .

- يسيرون قليلا فيصلون الى الجب .
ينظر روبين الى القمر ويتراجع -

روبين – اعوذ بالله ! ان قلبي لا يطاوعني على الاشتراك في هذا المنكر !
نفتالي – يضحك – تراجع تراجع يا روبين ، فانا كفوء لهذا !

- يعود روبين الى اخيه يوسف
ويأخذه الى ناحية بعيدة ويلاعبه -

نفتالي – ما رأيكم ؟ كيف نرمي به في هذا الجب المقمر الجنبات ؟
يهوذا – بكل هدوء وتؤدة لئلا يصطدم بنتوء الاحجار !
نفتالي – كما تريد يا يهوذا ، لن نغضب احداً ، سيكون الكل راضين عما نفعل .
شمعون – وماذا فكرت ؟
نفتالي – سأخلع الان عباءتي ، واطرحها على باب الجب ، بحيث تتدلى اطرافها من كل الجهات ، ثم يجلس كل منا على طرف من اطرافها ، ونضع يوسف في الوسط ، وعندما تسمعون امري تتراجعون الى الوراء ، فيهبط يوسف الى القمر تواً ! وهكذا نكون قد اشتركنا جميعنا في الجرم ، فلا تقع التبعة على احدنا دون الآخر فيما لو عرف ابونا بؤامرتنا .
جادا – ما امهرك يا نفتالي .
الجميع – ما أدهاك !..

- يوافقون على ما قال نفتالي -

جادا – مناديا – تعال يا روبين ، تعال وأت بيوسف معك فقد انتهى الامر .

– يتقدم روبين ويوسف قليلا –

روبين – ينقطع عن التقدم – اذهب يا أخي ، اذهب وانظر ما يريد اخوتك .

يوسف – لا ، لا اذهب وحدي يا أخي .

– يسكت روبين وينظر الى الارض –

نفتالي – مناديا – تعال يا يوسف تعال ، وخذ حملا صغيراً .

يوسف – لا أذهب اليكم حتى يذهب معي روبين .

الجميع – بغضب – تعال يا روبين !

– يتحرك روبين سائرا نحو اخوته ويتبعه يوسف ماسكاً باذيال ثوبه . يبسط نفتالي عباءته –

نفتالي – اجلس يا دانا ، تعال يا جادا ، هذا مكانك يا اشير ، تقدم يا زبولون ، يا يساكر ، اسرع يا شمعون ، يا لاوي ، يا يهوذا ، اركض يا روبين ، فقد بدأ اللعب ! . .

روبين – دعوني لا اريد اللعب .

– الى يوسف – اذهب يا أخي ، اذهب والعب مع اخوتك . .

يوسف – لا لا ، تعال معي ، تعال .

الجميع – بثوران – اسرع يا روبين !

– يقف روبين دون ان يلتفت اليهم –

دانا – بصوت خافت – تالله ساذهب واجره جراً وارميه في الجب قهراً !

اشير – موافقاً – هلم يا دانا !

جادا – وانا اساعد كما !

روبين – بعد ان يرى هذا الاتفاق الغريب يتقدم – ها.نذا آت ، وهذا يوسف اخي .

نفتالي – اجلس يا روبين في مكانك .

روبين – دعوني واقفاً .

الجميع – بتذمر – اجلس يا روبين !

– يجلس روبين مطرقاً برأسه الى الارض –

نفتالي – تعال يا يوسف ، اجلس في الوسط لنلاعبك ! ..

يوسف – انا اجلس قرب اخي روبين .

زبولون – انت جميل يا يوسف ، نحن نحبك يا اخي ، نريد ان نلاعبك تعال واجلس في الوسط .

يوسف – أ أجلس يا روبين ؟

– يسكت روبين وتدمع عيناه –

الجميع – قل له ان يجلس !

روبين – بصوت مضمحل – اجلس يا يوسف ، اجلس يا اخي ..

يوسف – يتقدم ويجلس في الوسط فرحاً – ما اسم هـذه اللعبة يا اخوتي؟

نفتالي – لعبة الدائرة يا يوسف الا تراها جميلة ؟

يوسف – فرحاً – بلى بلى ...

نفتالي – انتبهوا لاوامري .

الجميع – الا روبين – حاضرون حاضرون !

نفتالي – واحد ، اثنان ، ثلاثة !

ـ يتراجع الجميع عن اطراف العباءة فيشرف يوسف على الهبوط ، ولكن روبين يمسكه وينتشله ، فيقف يوسف ضاحكاً مسرورا ، ويغضب الجميع ! ـ

الجميع – ساخطين – الم تنته يا روبين ؟ !

جادا – لقد اضعت علينا الوقت سدى !

نفتالي – لم ينجح اللعب ياخوتي ، تعالوا نعد مرة ثانية .

ـ ينظرون كلهم الى روبين ، ولكن روبين يخاف سخطهم فلا ينبس ببنت شفة ـ

يساكر – نعود للعبنا ، اليس كذلك يا يوسف ؟ !

يوسف – بفرح زائد – نعم نعم ، تعالوا الى اللعب ، اسرعوا ، هذا اللعب جميل جداً ! ...

- يتقدم الجميع بسرعة وكل يأخذ مكانه . روبين لايزال قابعاً في مكانه لايتحرك -

جادا – مبتسما – اخلع عنك ثوبك يا يوسف ، لئلا تلوثه فهو جميل .

- يخلع يوسف ثوبه ويأخذه جادا -

نفتالي – استعدوا للأوامر ، انتبهوا .

- الى جادا الجالس بقرب روبين -

انتبه لوظيفتك يا جادا ، قم بمهمتك بمهارة !

- يومىء جادا برأسه ايماءة الايجاب -

نفتالي – واحد ، اثنان ، ثلاثة !

- يتراجع الجميع ، ويجم روبين بالامساك بيوسف ولكن جادا يمسك بيديه ويجره جرا الى الوراء وتجر تحته العباءة ، فيهبط يوسف في البئر -

يساكر – وقع !

لاوي – هبط !

- ينهضون صامتين كأن على رؤوسهم الطير . ينحني نفتالي ويأخذ عباءته ،ثم يتوجهون الى غنمهم يقودونه نحو الجنوب .. تسمع تأوهات يوسف من داخل الجب ، ولكن لا يلتفت اليه احد ! –

يهوذا – لقد خلصنا من يوسف يا اخوتي ، فماذا انتم قائلون لابيكم في المساء ؟!

زبولون – ماذا نحن قائلون له عندما يسرع الينا يريد يوسف ليلاعبه ؟!

شمعون – وماذا انتم قائلون لأمه المسكينة ، التي سترونها منتظرة قدومه ؟ !

روبين – عندي ان نعود فننشله من البئر ، والا افتضح امرنا لدى ابينا وخالتنا وعشنا في دار غرق في الحزن العميق !

لاوي – اي والله وهذا رأيي !

دانا وجادا واشير – بصوت واحد – اسمع يا نفتالي اسمع !

نفتالي – ليس اهون من ان نقول لابينا ولراحيل ان الذئب اكل يوسف !

لاوي – وعند ما يُطلب منا اثر من آثاره نقيمه دليلا على صدق ما نقول ، ماذا نفعل ؟ !

نفتالي – الى جادا – اجبه يا جادا !

جادا – ساحباً ثوب يوسف من جيبه – وهذا الثوب لم اتينا به ؟ ! الآن نأتي بجمل صغير ونذبحه ونلوث القميص بدمه ، ونقول ذئب اكله !

نفتالي – نعم المدبر جادا !

– يبتعدون .. ويبتعدون الى ان تختفي اشباحهم –

صوت الله – « لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لايشعرون . . »

- بعد مدة ، يظهر من اقصى الشمال خيال قافلة قادمة . . تتقدم حاملة بضاعتها الى ان تصل الى قرب الجب ، فتقف ويترل الرجال عن ظهور الابل ليردوا المياه -

سيدهم – تعال يا مالك ، هات دلوك واسحب لنا ماء للشرب .

مالك – سمعاً وطاعة يا مولاي .

– الى رفيقه – اين الحبل يا عباس ؟

عباس – هوذا على ظهر جملي .

- يذهب عباس ليأتي بالحبل -

قامين – لقد انهكنا المسير وجفت قلوبنا يا قطفين !

قطفين – حقاً ان اجوافنا عطشى الى الماء يا قامين .

– الى عباس – اسرع يا عباس اسرع !

عباس – أتيت سيدي .

- يربط مالك دلوه بالحبل -

سيدهم – أحس بعطشي قد زال يا قامين !

قامين – لاننا قربنا من الماء يا سيدي .

سيدهم – لا لا ، أحس هواء هذه البقعة يتخلل عروقي ، ويجلب الى قلبي الحياة ،فان للارض الطيبة انفاساً طيبة تنبثق من شقوقها .

قامين – انت واهم يا مولاي ، وكثيراً ما يكون الوهم سر الحياة ! وعدو الحقيقة !

سيدهم – تعال تقدم ، شم هذا النسيم الرقيق يا قامين .

قامين – انا لا اشعر الا بنار تلتهب في احشائي . نحن ما زلنا على ما كنا عليه من عطش وتعب !

سيدهم – تعال تقدم وتحقق صدق ما اقول !

قامين – يتقدم فرحاً – حقاً ان الهواء لعذب في هذه البقعة ! اني اشتم ريحاً منعشاً !

– يتقدم عباس ورفاقه –

عباس – والله ما شعرت بمثل هذا الهواء في طريقنا من مدين الى هنا !

قطفين – انني اشتم عبيراً ، كأنه عبير المسك الذي نحمله !

سيدهم – رح يا عباس واحضر لنا بساطاً من البسط لنجلس على هذه الارض الحية !

– يذهب عباس الى الجمال . في هذه الاثناء يكون مالك قد ادلى دلوه ، وعندما اراد سحبه شعر بثقل فيه –

مالك – صارخاً – يا عباس ، يا قطفين ، يا سيدي ، يا مولاي ! تعالوا شدوا معي ! اسرعوا اسرعوا !

يضحك الجميع وينظرون اليه دون ان يلبوه

مالك – مولاى ، لا استطيع سحب الدلو ، تعالوا اعينوني !

– يزدادون في ضحكهم ويقهقهون –

مالك – مالكم لا تسمعون ؟! تعالوا والا تركت الدلو في البئر !
سيدهم – ضاحكاً – اذهب يا قطفين ، وانظر هذا الابله!

- يسرع قطفين ويشد بالحبل مع مالك -

قطفين – حقاً ان الدلو لثقيل يا مولاي !

- يسحب الاثنان الدلو وقد تعلق به يوسف -

مالك – فاراً – شيطان ! عفريت ! شيطان ! اعوذ بالله ! اعوذ بالله !
قطفين – فرحاً – « يا بشرى ! هذا غلام ! »
سيدهم – دهشاً – ماذا تقول ؟!

- يتقدم الجميع معجبين بيوسف -

قامين – ما اجمله يا مولاي ! ما ابهى طلعته ! في وجهه نور ، وفي عينيه شعاع !
سيدهم – لله ما اجمله ! لله ما ابهاه ! احمله اليَّ يا عباس ! ضعه هناك على البساط !..

- يكون عباس قد اتى بالبساط فيضع عليه يوسف -

سيدهم – ضاحكاً – تعال يا مالك ، ادل دلوك ثانيه لنشرب .
مالك – لا لا ، ياسيدي ! لن اعود الى هذه البئر ، لا اقدر لا اقدر !

- يضحك الجميع -

قطفين – ضاحكاً – دعوه انا آتيكم بالماء !

- يخرج ماء من الجب ، ويحتاط الجميع يوسف دهشين -

سيدهم – الى يوسف – ما اسمك يا غلام ؟

- ينظر اليهم يوسف ، ولا يستطيع الكلام -

سيدهم – دعوه الان . اذهب يا مالك وائتني بقليل من التمر لأطعمه .

- يذهب مالك الى الجمال -

يوسف – بصوت ضعيف – اين اخي روبين ؟!

قامين – من يريد ؟

قطفين – من تريد يا ولد ؟ !

يوسف – بشيء من الانتعاش – اريد اخي روبين !

عباس – يريد اخاه روبين !

سيدهم – ما اسمك يا بني ، ومن هو روبين ؟

يوسف – اسمي يوسف ، واخي روبين بن يعقوب النبي .

الجميع – ابن يعقوب النبي !

قطفين – لقد سمعنا في مدين هذا الاسم يتردد على الالسن .

سيدهم – وانا ايضاً سمعت به .

ـ يتركون يوسف مع عباس ومالك ،
وينتحون ناحية ـ

قامين – أنزده الى اهله ؟
قطفين – لا ادري .
– الى سيده – ماذا تقول يا سيدي ؟
سيدهم – عندي ان نأخذه معنا ونبيعه في مصر .
قامين وقطفين – كما تريد يا مولاي .

ـ يعودون الى يوسف ـ

يوسف – هل رأيتم اخي روبين مع اخوتي ؟
سيدهم – نعم وانا رادوك اليهم .
يوسف – مسروراً – متى ؟
الجميع – الان ...

ـ يجلسون يريحون انفسهم على البساط ، بينما
الجمال بركت تجتر . بعد مدة ينهضون ـ

سيدهم – هلموا فهذا وقت الاصيل .
قامين – قم يا عباس ، خذ البساط ، وانت يا مالك أعد الدلو والحبل
الى موضعيهما .

ـ ينهض الجميع ويستعدون للسير . واسروا
يوسف بضاعة على ظهر جمل ، ثم ساروا متجهين
نحو الجنوب حيث تابعوا سيرهم الى ان
اختفوا عن الانظار . بعد قليل يبدو شبح من
اقصى الشرق . يقترب فاذا هو روبين ـ

روبين – قادماً – ها.نذا آتٍ ياأخي يايوسف،لا تحزن يا اخي،ياضحية الحسد الفتاك ، يا طفلا طاهراً لا يعرف للحسد معنى ، يـا ملاكاً ابيض اراده الله فرحاً مسروراً يكسو الحياة رونقاً وحبوراً ، فاراده اخوته ، اجل اخوته ! اراده اخوته جثة نتنة تأكلها طيور السماء ووحوش الارض . قبح الله الحسد ! فوالله ما دخل قلباً الا افسده ، وما اصيب بـه شخص الا وقاده الى الشر ، فقاد اخوتك يا يوسف الى طرحك في الجب! لا تحزن يا اخي ، لا تتأوه يا يوسف ، ها.نذا قادم انتشلك بروحي قبل يدي ! لقد اقترحت عليهم ان يطرحوك في غيابة الجب ، لهذه الساعة التي آتيك فيها الآن ، فآخذك الى ابويك وتنعم بالحياة ، هادئاً كما ارادك الله ، ونوراً يضيء الظلام .

– يقترب من الجب ويطل برأسه الى القعر ، باحثاً مدققاً بنظره فلا يرى شيئاً ، فيتراجع صاعقاً !.. –

روبين – باكياً – رباه ، اين هو ؟! اين انت يا يوسف ؟ هل طلع عليه وحش فأكله ، ام انقض عليه نسر فحمله ؟!

– يعود ثانية –

لعلَّ نظري اخطأني فلأنظر ثانية ، عـلَّ بصري يصطدم بذلك النور المحتضر .

– لا يرى شيئاً –

يا اخي يايوسف ، اجبني يا اخي ! ها انا روبين اناديك ، تكلم يا اخي !

- يتراجع -

يا روح اخي ، اطلي علي واخبريني اين حلّ يوسف ؟ الى اين رفعه الله وحط به ؟! .. المصائب والويلات والاحن ، كلها ستنزل على بني اسرائيل فيتشرون في الدنيا تائهين ، لا يعتصمون بحبل ، ولا تربطهم رابطة ! .. كل هذا يتراءى لي الآن امام ناظري ! .. يا لهم من خدعة مكرة ! يا لهم من منافقين كفرة ! يؤمنون بربهم ويسخرون بربهم ، انكم لم تدركوا يا بني اسرائيل سر الله بعد ، اذاً لخشيتموه واتقيتموه في اخيكم ! ..

- يعود على اعقابه من حيث اتى . يبتعد وصوته قليلا قليلا الى ان يحجبه خيال الغروب في اقصى الشرق -

صوت الله - ... « واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ! ... »

٦

غروب قاتم . يعقوب امام داره ، وراحيل تحمل ابنها بنيامين .

راحيل — هذا الظلام ترامى على الكثب والوهاد ، والاولاد لايزالون في الحقول مع غنمهم !

يعقوب — لا بأس على الرجال انى كانوا .

راحيل — لقد تاق قلبي لرؤية يوسف !

يعقوب — حقاً فكأنني لم اره منذ حين من الدهر !

راحيل — اود ان اراه ! ان قلبي لينادي اليه، اريد ان اشبع من رؤيته !

يعقوب — اني اراه يبتعد عنا ... هاءنذا اناديه ، وهوذا يبتعد ، اريد ان اقبله قبلة الوداع ولكنه مضى في اللانهاية من البعد ...

راحيل — محدقة في الظلام — حدق معي يا يعقوب ، الا ترى قرب تلك الهضبة ، بجانب الغابة ، اشباحاً تزحف ؟

يعقوب — بلى بلى ، ها هي تتقدم .

راحيل — اظنها القطعان ، وهوذا الحمار امامها .

يعقوب — صدق ظنك يا راحيل .

- تتقدم القطعان ووراءها الاخوة -

راحيل - الى نفسها - ارى الاولاد في مؤخرة الغنم .
- الى يعقوب - الا تراهم ؟
يعقوب - بلى ، ولم هم مجتمعون بعضهم على بعض ؟
راحيل - لا ادري والله !
يعقوب - لعلهم يلاعبون يوسف .
راحيل - ولكني لا ارى يوسف بينهم !
يعقوب - لصغره ياراحيل .

- تقترب القطعان والابوان لا يزالان يحدقان ليريا يوسف -

راحيل - الى زوجها - اين يوسف ؟
يعقوب - لا ارى يوسف !

- يتقدمان باندفاع ، فاذا الاخوة باكون ! -

يعقوب - علام تبكون ؟ ! اين يوسف ؟ !
راحيل - اين ولدي ؟ !
يعقوب - تكلم يا روبين !

- روبين يجهش بالبكاء -

جادا - بسرعة - هذا ثوبه يا ابي !

راحيل – صاعقة تائهة ! – مات ؟ ! يوسف مات ؟ ! ويلاه ! رباه !

يعقوب – بجنون – قميص يوسف ؟ ! واولداه ! واعزيزاه يا يوسف !

يساكر – هذا ثوبه وعليه دمه !

يعقوب – دم يوسف ؟ ! وكيف ؟ !

روبين – « يا ابانا انا ذهبنا نستبق ، وتركنا يوسف عند متاعنا ، فاكله الذئب ! . . »

راحيل – تأخذ القميص وتعود الى خبلها – اكله الذئب ! اكله الذئب ! يا رباه، واحبيباه !

نفتالي – الى ابيه – « وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ! »

يعقوب – بصوت مخنوق – راحيل ، يا راحيل، تعالي يا مسكينة ! تعالي ، هاتي القميص ! هاتيه اشم فيه ريح يوسف ، هاتيه اقبله يا راحيل !

روبين – باكياً – صبراً يا ابي ، تعز ياوالدي !

يعقوب – دعوني « اني انزل الى ابني نائحاً الى الهاوية !»

– ينصرف الاخوة . . . يأخذ يعقوب الثوب وينظر اليه بعينين دامعتين ، ويقلبه بين يديه –

يعقوب – ناظراً الى الثوب – افيأكل الذئب طفلا ويدع قميصه سالماً لايمزقه بانيابه ومخالبه ؟ ! كلا ! لم يأكله الذئب « بل سولت لكم انفسكم امراً ، فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون ! » لقد سخط الله على بني من بعدي ، فهم في ظلمات

يعمهون ، وهم في جنبات الكون منبثون افراداً لاتجمعهم جامعة ، ولا يهديهم هدى ! لقد شردهم الله وبدد شملهم في الآفاق ، وغدت كل ارض تلفظهم ، كما يلفظ البحر الجيف النتنة ! رباه رحماك يا الله !...

- يمسك يعقوب بامرأته التائهة ، كالمجنونة ويحمل ابنه الذي كان يبكي على الارض ويدخلها الى الدار حيث تسمع اصوات البكاء متعالية ثم تضمحل شيئا فشيئا -

صوت الله — «... وضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباؤا بغضب من الله ! ...»

يوسف

— في ارض فرعون —

٧

ظهرحار . امرأة العزيز على سريرها . وامامها جارية تروح بمروحة . على الباب خادم .

راعيل — ناظرة من النافذة — آه لطيف هو هذا النسيم ! وجميل هو هذا اليوم كأنه يوم النعيم !

— بعد برهة يطرق الباب —

الخادم — الى راعيل — سيدتي الباب يطرق .

راعيل — افتح .

— يدخل فوطيفار . يسجد الخادمان لمولاهما —

فوطيفار — كيف أنت ايتها العزيزة ؟

راعيل — بخير .

— يجلس فوطيفار على سرير بابهة وكبرياء —

راعيل — هل لديك شيء جديد يا فوطيفار ؟

فوطيفار — نعم يا راعيل .

راعيل – وما هو ؟

فوطيفار – مبتسما – غلام ٠

راعيل – بدهشة – غلام ؟ ألا تكفي غلماننا ؟!

فوطيفار – غلام جميل يا راعيل ٠

راعيل – اين هو ؟

– يصفق فوطيفار ، فيدخل عبد من الخارج ويسجد ثم يقف –

فوطيفار – الى العبد – آتني بالصبي ٠

–يخرج العبد ويعد برهة يعود ومعه يوسف–

فوطيفار – ها هو ٠

راعيل – ناظرة الى يوسف – ومن اين اتيت به ؟

فوطيفار – من تاجر مدياني اتى به من ارض كنعان ٠

راعيل – جميل هذا الغلام !

فوطيفار – انه لكذلك ٠ انظري الى شعره المجعد ،وعينيه الواسعتين ، ووجهه الرخامي !

راعيل – وثغره اللطيف !

فوطيفار – كله جميل ٠

– الى العبد – اذهب يا غلام بيوسف الى الجاريات يغسلنه ويعطرنه ،ويلبسنه اجمل الاثواب الحريرية ، ثم عد به الينا ٠

- يخرج العبد آخذا يوسف معه -

راعيل — اسمه يوسف ؟

فوطيفار — نعم .

راعيل — لقد احب قلبي هذا الصبي !

فوطيفار — هو لطيف وفطن ! « أكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولداً » . انا ذاهب يا راعيل فأوصيك بهذا الغلام .

- يخرج -

راعيل — لنفسها — وحق الآلهة ، لم ترعيناي أبهى من هذا الصبي !

- بعد برهة ، الى الخادم -

اذهب ومر الجاريات بالاسراع .

- تقف راعيل تروح وتجيء في ارض الغرفة . يدخل الخادم ومعه يوسف . تعود راعيل الى سريرها .

راعيل — الى يوسف — تعال يا جميل .

- يخجل يوسف ولا يتقدم -

راعيل — تعال .

— الى الجارية — احضريه .

– تمسكه الجارية وتقدمه الى راعيل –

راعيل – ما اسمك يا جميل ؟

يوسف – بجياء – اسمي يوسف .

راعيل – لا تخف يا بني ، وابن من انت ؟

يوسف – انا ابن يعقوب .

راعيل – وكيف اتيت مصر ؟

يوسف – لا ادري يا سيدتي .

راعيل – مشيرة الى جانبها – اجلس هنا يا يوسف :

يوسف – باكياً – اريد امي !

راعيل – مالك يا يوسف ؟

يوسف – باكياً – اريد امي !

راعيل – ومن هي امك ؟

يوسف – امي راحيل .

راعيل – راحيل ؟ وانا راعيل ألا تقبل بي اماً لك ؟

يوسف – باكياً – لا ، اريد امي !

– تضحك راعيل ، وتبتسم الجارية ، ويبتسم الخادم –

راعيل – انى لأمك ان تراك ، وانى لك ان تراها ؟ !

يوسف – باكياً – اين هي ؟!

راعيل – امك في ارض كنعان ، وانت في ارض فرعون يا يوسف !

– يبكي يوسف –

راعيل – صبراً يا يوسف ! لا تبك ياحبيبي ! انت جائع يا يوسف ؟ تريد ان تأكل ؟ اصبر فستأكل الآن ...

يوسف – كلا ! امي امرتني ان لا آكل عند احد .

راعيل – الآن تذهب وتأكل .

– الى الخادم – خذه الى الجاريات ، وليطعمنه ألذ الطعام .

– يأخذه الخادم ويخرج ، والخادمة لا تزال امام سيدتها تروح بمروحتها –

راعيل – بعد برهة ، الى الجارية – انصرفي .

– تخرج بعد ان تسجد لمولاتها –

راعيل – لنفسها – لن يأكل معهن .

– بعد برهة تدخل جارية –

راعيل – ماذا ؟

الجارية – سيدتي ، لم نستطع اطعامه !

راعيل – بغضب – اخرجي يا جارية السوء ، اخرجي واطعميه !

– تخرج الخادمة خائفة –

راعيل – يجب ان يأكل ليحتفظ بروائه الجذاب ، وماء الحياة !

– تصفق فيدخل الخادم –

راعيل – قل للجواري يحضرن يوسف ، ويحضرن معهن الطعام !

الخادم – بدهشة – سيدتي !

راعيل – بسرعة !

- يخرج -

راعيل – لنفسها – يجب ان يأكل ويعيش وأراه بعد عدة سنين شاباً جميلا يافعاً ، ممتلأ قوة وجمالاً ، فأضمه تحت جانحي ! الله ما اجمله ! كأنه ابن الآلهة ، كأنه بن فرعون سليل الشمس!

- تدخل جارية ومعها يوسف ، واخرى حاملة الطعام ، وثالثة تحمل طاولة صغيرة -

راعيل – اجلس واطعمنه .

يوسف – لا اريد .

- ويبكي -

راعيل – مالك يا يوسف ؟

الى الجاريات – ما له يبكي ؟

جارية – لا ندري ياسيدتي !

راعيل – ما لك يا يوسف ؟ قل لا تخف !

يوسف – بصوت مخنوق – ضربنني .

راعيل – ماذا ؟ ضربنك ؟ ! ولماذا ؟ !

يوسف – لانني لم آكل ...

راعيل – ساخطة – يا جاريات السوء ! وحق الآلهة لاتزلن عليكن غضبي !

الجاريات – لا ياسيدتي !

راعيل – اخرجن ! اذهبن من وجهي !

– يخرجن مذعورات –

راعيل – الى يوسف – كل يا حبيبي كل ...
– لنفسها – لا بأس لاطعمه انا ، فكانني اطعم ولداً لي ،
لا بأس امام هذا الصبي تفنى كبريائي !

– تأخذ لقمة بيدها –

– الى يوسف – افتح فمك يا يوسف ! هـذا طعام لذيذ . لقمة
واحدة !

– يفتح يوسف فمه فتبدو اسنانه –

– الى نفسها – ما ابهى هذه الاسنان وما الطفها ! البياض يقطر
منها ممزوجاً بالنور !

– يأكل يوسف اللقمة –

يوسف – يكفي يا سيدتي .
راعيل – هذه اللقمة ايضاً .

– يأكل الثانية –

يوسف – يكفي ما اكلت مولاتي .
راعيل – لقمة اخرى .

– تظل تطعمه حتى يشبع . واخيرا
تصفق فتدخل خادمة –

راعيل – الى الخادمة – اخرجي الطعام !

- تخرجه . تصفق راعيل ثانية ، فيدخل الخادم -

راعيل – خذ يوسف الى الغلمان ، وليتزهوه في البساتين ، ويقطفوا له من الاثمار ...

- يأخذه ويخرج . وبعد لحظة يدخل فوطيفار ويوسف معه -

راعيل – لمَ ارجعته ؟ ليأخذه الغلمان الى النزهة .

فوطيفار – اريد ان آخذه بنفسي ، سأعتني به كثيراً ! امسرور هو يا راعيل ؟

راعيل – جداً ! اطعمته بنفسي !

فوطيفار – دهشاً – ولمَ ؟ ! اين الجواري ؟ !

راعيل – لم يأكل معهن !

فوطيفار – لا بأس ، فسيكون ابناً لنا يا راعيل ، وسيكون لنا منه نفع عظيم !

راعيل – ومن ذا الذي اخبرك ؟

فوطيفار – هي الآلهة يا راعيل . ذهبت الى الهيكل المقدس فسجدت امام الآلهة اصلي واسألها عما اذا كان هذا الصبي فاتحة خير علينا ام فاتحة شر ، فاذا بالنيل اله الخير يجيبني : سيتدفق الخير عليك يا فوطيفار لانك احسنت مع الطفل اذ اكرمت مثواه .. ارتعشت فرحا وسررت لكلام اله الخير وسجدت شاكراً .

- تسجد راعيل -

فوطيفار — مردفاً — ثم استويت فاذا ايزيس آلهة الخصب والحياة تناديني ان يافوطيفار اكرم هذا الطفل فانشر الخصب في ارضك والحياة في ارزاقك ، فسجدت لها وعدت اليك اخبركِ !...

راعيل — ساجدة — لك الحمد ايتها الآلهة !

- يوسف واقف هادئ يستمع .
يصفق فوطيفار . يدخل الخادم -

فوطيفار — الى الخادم — مر الحوذي يهيء لنا العربة .

الخادم — سمعاً سيدي .

- يخرج -

فوطيفار — الى راعيل — سنأخذ يوسف ، ونخرج الى نزهة جميلة .

راعيل — ناهضة — سأرتدي ملابسي .

- تخرج ويخرج وراءها فوطيفار ويوسف -

صوت الله — « وكذلك مكنا ليوسف في الارض ، ولنعلمه من تأويل الاحاديث ... »

٨

غروب هادىء . في ارض كنعان . يعقوب في زاوية من زوايا داره حزين ، وامامه راحيل بنظراتها التائهة وشعرها المبعثر على وجهها الهزيل وعينيها المحمرتين . وامامها بنيامين يركض ويلعب .

بنيامين — ابي ، يا ابي ...

ـ يعقوب لا يلتفت اليه بل يظل شاخصاً الى الارض بنظره . يتقدم بنيامين ويمسك بذقن ابيه ..

بنيامين — ابي ، ابي ...

يعقوب — منذهلا باكياً — ماذا تريد يا صغيري ؟

— في نفسه — كنت الآن ويوسف !

راحيل — منتبهة — ماذا ؟ يوسف ؟! اين يوسف ؟!

يعقوب — الآن رأيت يوسف !

راحيل — مقاطعة — اين ؟!

يعقوب — كنت في غيبوبة يا راحيل فرأيته يلعب امامي مسروراً ، ثم ناداني فالتفت فاذا بنيامين يناديني !

راحيل — لنفسها — واحبيباه يا يوسف !

– الى يعقوب – هذه ملائكة الرحمة تلاعبه في علياء السماء ، فاذا ماخسر الصغير الارض فان له السماء يطير فيها عصفوراً من عصافير الفردوس ، تحضنه الملائكة بجوانحها البيضاء . . .

يعقوب – لقد رأيته في عربة تجرها جياد بيضاء ، عن يمينه ملاك وعن يساره ملاك ، يتعانه بمناظر الاشجار ، ويقطفان له ما طاب من الاثمار . . .

راحيل – باكية – هنيئاً لك يا بني !

يعقوب – فسألته : أمسرور انت ؟ فاجابني : كثيراً ! كل يوم اخرج الى النزهات واعود الى مأوى غارق بالنعيم والرخاء !

راحيل – هنيئاً لك يا حبيبي ! هو في الفردوس يا يعقوب !

يعقوب – الى بنيامين – تعال يا بني تعال . اركض اليَّ لألاعبك ، فاذكر عهد يوسف وقد كان يقفز امامي مثلك ! تعال يا بني تعال ، انني ارى في لعبك لعبه وفي لهجتك لهجته ! ولكني لا ارى في كلامك شيئاً من كلامه !

راحيل – متنهدة – راح يوسف ، فراحت السعادة من دارنا ! ذهب يوسف ، فذهب السرور وراءه ! غاب يوسف فغاب النور عن الدنيا !

يعقوب – اجل ! فهذه خمسة اعوام تمر والايام السوداء تتابع لا نرى بينها يوماً ضاحكاً ، بل كلها دكناء عابسة ، يقطر الخراب من جوانبها ! الا ليسخط الله ! الا لينتقم من الظالمين المعتدين !

راحيل – خمسة اعوام تمر والدمع من مآقي يفيض !

يعقوب – خمسة اعوام تمر والحزن يملأ قلبي ، فلا يجد مصرفاً ،والخسائر تتوالى علينا ! هـا هم ابنائي وقد اصبحوا عبيـداً بعد ان كانوا اسياداً ! صاروا يرعون مواشي الغير بعد ان كانوا يرعون مواشيهم بفخر وسعادة ! ها هم بنو اسرائيل وقـد تفتتت اعضاء كيانهم ، وانحلت عراهم ، وتشردوا في مناكب الارض وسيظلون الى الابد مشردين !..

راحيل – بربك دعني ! لا ترد يا يعقوب ! كفانا حزن وانتحاب ! لقـد يئسنا من هذه الحياة !

يعقوب – لا تيأسي يا راحيل ، فرحمة الله واسعة ، ستغمرنا يوماً وسترينا بضعة ايام سعيدة في آخر شيخوختنا ، والله ارحم الراحمين . عما قريب يأتي ابنائي بما رزقوه ، فنحمد الله على الائه ،ونسبح بحمده ... وهكذا تمضي هذه الايام التعسة ، ويأتي الفرج عما قريب . والآن هلمي يا راحيل لنصلي لله ونطلب منه ان يكلأ يوسف برعايته .

راحيل – ناهضة – رب ارحمه يا الله !..

– يخرجان –

٩

ذيول الليل ، صباح طري . راعيل تستيقظ في سريرها .

الجارية — داخلة حاملة طفلا — صباح الخير يا سيدتي . هـذا ابن اختك هادا ، امرتني ان آتيك به لانها خرجت من دارها بهمة .

راعيل — متذمرة — ضعيه هنا ، وأتيه بالدمى يلعب بها .

- تضعه الجارية وتأتيه بالدمي -

راعيل — الى الجارية — اخرجي ، ولا يأتين اليّ احد الان !

الجارية — سمعاً مولاتي .

- تخرج -

راعيل — في فراشها لنفسها بحرارة — مهلاً ايها الجسد الثائر ! ماذا تطلب مني ؟ طوال هذه الليلة وانت تتلوى على جنباتك ، في هذا الفراش النـاري ! ماذا تريد ؟! يا جسدي ؟ انت شهوة مستعرة ! نار حامية ! رغبة متأججة ! ماذا تريـد ؟

تريد ان تطفي. شهوتك ، ان تميت نارك ، ان تكبح جماح رغبتك ؟! انت لا تزال في عنفوان الشباب ، فلتتمتع بلذات الدنيا ، لتشبع من هذه اللذائذ ! انتظر عما قريب اجيب طلبك !

- الى صدرها -

مالك يا صدري تثب وتنتفض ؟! ما للشهوة الحمراء تجول فيك ؟! وانت يا قلبي ، علام انت قلق ؟! والى م انت تائق ؟! وانتما يا ثديي ، مالكما شامخان ناشئان ترتعشان وتهتزان على ترائبي الحامية ؟! أتعبتما مما تحملان؟ انتظرا ! سآتيكما بمن يعصركما عصراً ! انتظر يا صدري الملتهب فعما قريب تستكين وتهدأ !..

- الى ذراعيها -

وانتما يا ذراعي ! علام تضغطان ؟ ومن تطوقان ؟ لا شيء امامكما اصبراً يا ذراعي صبراً ! ستضغطان على جسم ما مسته انثى ! ستطوقان شابا ما لمسته امرأة !..

- الى شفتيها -

وانتما يا شفتي المستعرتين كالجمر ، صبراً فعما قليل تطبعان قبلات على فم لم يقبل الهاً !

- الى نفسها -

صبرا يا راعيل ! عما قريب يأتي يوسف !

– يدخل فوطيفار –

فوطيفار – الى راعيل – اسعد الله صباحك يا راعيل .

راعيل – ذابلة – وصباحك ...

فوطيفار – متقدماً نحو زوجه – اعطيني قبلة الصباح يا راعيل !

راعيل – دعني فانني مريضة .

فوطيفار – يقبلها – عوفيت يا راعيل . اين يوسف ؟ اود ان اراه قبل ان اذهب .

راعيل – ابداً تود ان تراه ؟!

فوطيفار – نعم يا عزيزتي ، فوربي اني ارى صورته انى اتجهت ترتسم على صفحات الهواء ! فمنذ ان وطأ هذا الشاب دارنا تدفقت البركة علينا ، منذ سبع سنوات والآلهة ترعانا بحراستها ! .

راعيل – بتذمر – تراه في الخارج .

فوطيفار – سأراه وامضي ...

راعيل – ابعث به الي .

– يخرج فوطفيار –

راعيل – في نفسها – انا لست بحاجة الى فوطيفار ، ولا الى قبلات فوطيفار ! طلبت يوسف الشاب فاتاني هـذا العاقر ! انا اريد يوسف ! واذا مانع هذه المرة سأجذبه الي ولا ادعه

حتى اجري في جسمه دم الانسان ، واحرك فيه الشهوة العاتية ! يوسف ! اين انت يا يوسف ؟! .

يوسف – داخلا – اتيت يا سيدتي .

راعيل – مشيرة الى الباب – اقفل الباب .

– يقفله –

– مشيرة الى جانبها – اجلس هنا ، اصعد اصعد !

– يصعد يوسف الى السرير ويجلس بجانبها –

راعيل – انزع عني هذا الثوب يا يوسف .

– ينزع يوسف الثوب عن راعيل ، فتبدو بثوب ابيض رقيق –

يوسف – بحياء – اسمحي لي ان اخرج يا سيدتي !

راعيل – لا ، ابق هنا ، انا بحاجة اليك !

– يهم يوسف بالنزول –

راعيل – ماسكة بيديه – تعال يا يوسف تعال !

يوسف – محاولا التخلص – اتركيني يا سيدتي !

راعيل – ثائرة – تعال يا حبيبي ! انا احبك يا يوسف !

يوسف – وانا احبك دعيني !

راعيل – تجذبه وتضمه الى صدرها – « هيت لك ! » «اضطجع معي!»
يوسف – ممانعاً – لا لا دعيني !

– تطوقه بذراعيها وتقبله قبلة عميقة –

يوسف – ممانعاً – دعيني ! اتركيني !
راعيل – تقبله – تعال ! قبلني يا حبيبي ! اطفيء جذوة تحرقني !

– يطوقها يوسف ، وكأن الشهوة قد تحركت فيه ، فتستسلم راعيل اليه وتنطرح تحته منهوكة القوى –

صوت – من السماء – اياك يا يوسف ! اياك يا يوسف !...
يوسف – ناهضاً – « معاذ الله ! انه ربي احسن مثواي ، انه لا يفلح الظالمون ! »

– يقف وينزل السرير متجهاً نحو الباب ليهرب ولكن راعيل تلحق به وهي مشتعلة بشهوتها ، وتمسك باذيال ثوبه ، فيندفع يوسف الى الامام فينشق قميصه . وفيما هما لدى الباب يلتقيان بفوطيفار داخلا –

راعيل – حانقة – لمَ اتيت بهذا العبد الكنعاني ؟!« ما جزاء من اراد باهلك سوءاً الا ان يسجن او عذاب اليم !.. »
فوطيفار – بدهشة – ماذا حدث يا راعيل ؟! اخبريني !
راعيل – ساخطة – « دخل الي العبد العبراني الذي جئت به الينا

ليداعبنا ! . . . »

فوطيفار — الى يوسف — ماذا فعلت ايها العبد الخائن ! وآلهتي لأعذبنك اشد العذاب !

يوسف — رويداً سيدي مهلا !

فوطيفار — متجهما — رويداً ؟! مهلا ؟! انا رئيس شرط فرعون تجرؤ على خيانتي ، يا عاقاً ربك ؟! اسمع ، اسمع ! الآن تتلقى عذابك !

يوسف — مضطراً — « هي راودتني عن نفسي ! »

فوطيفار — بغضب — ماذا يقول يا راعيل ؟!

راعيل — ثائرة — كذب العبد ! كذب العبد !

فوطيفار — أتكذب يا عبد السوء ايضاً ؟! أتكذب ؟!

— يتقدم اليه ليلطمه ! —

الطفل — وقد انتبه للاصوات — « ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ،

فوطيفار — مقاطعاً — اعوذ بالآلهة ! . .

الطفل — متمما شهادته — وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين »

فوطيفار — دهشاً — الطفل يتكلم ؟! ابن اختك يا راعيل ! ابن هادا يتكلم ؟! ماذا يقول ؟!

— يسجد يوسف —

يوسف — رافعاً يديه الى السماء — لك الحمد يا ربي !

فوطيفار — ماذا يقول الطفل ؟!

الطفل — ثانية — « ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين »

فوطيفار — فهمت ، فهمت ! لقد انطقت الآلهة هذا الطفل ليكون شاهداً على ما حدث !

— الى يوسف — تعال ايها العبد ارني قميصك !

— لنفسه — قد من دبر !

— الى راعيل — قد من دبر يا راعيل ! فماذا حدث ؟! أويكذب هذا الطفل الذي انطقه الآلهة ، وهو لا يستطيع بعد الكلام ؟!

ـ تسكت راعيل خائفة ، وتتراجع لترتمي في سريرها ! ـ

فوطيفار — الى راعيل — « انه من كيدكن ! .. ان كيدكن عظيم ! .. »

— الى يوسف — « يوسف اعرض عن هذا »

— الى راعيل — « واستغفري لذنبكِ انكِ كنتِ من الخاطئين ! »

— الى يوسف — لقد انطقت الآلهة هذا الطفل لينجيك من عذاب اليم !

ـ يتقدم فوطيفار ويحمل الطفل ـ

يوسف – لا يا مولاي ، ليست الآلهة التي انطقته ، بل هو اله ابي الذي كنت احدثك به ...

فوطيفار – الآن آمنت بربك ! ...

- يخرجان وفوطيفار يحمل الطفل -

صوت الله – « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء. ... »

١٠ الوقت اصيل . نسوة في داريتحادثن .

رفقا – أتودين القيام بنزهة يا طيبا ؟

طيبا – كلا يا رفقا ، لنرجي. النزهة الآن .

رينا – اذن لم دعوتنا ؟

الجميع – لمَ دعوتنا ؟

طيبا – ستسمعن امراً عجباً !

الجميع – امراً عجباً ؟!

طيبا – اجل !

الجميع – ماذا ؟

طيبا – « امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ! »

رينا – امرأة العزيز ؟! راعيل تراود غلامها ؟!

طيبا – « قد شغفها حباً » يا رينا !

قاديم – « انا لنراها في ضلال مبين! »

رفقا – ومتى كان ذلك ؟!

طيبا – منذ اسبوع .

الجميع – يا للعار يا راعيل !
طيبا – انهضن نتنزه قليلا ...

– ينهضن –

قاديم – يا لذل العزيز عند فرعون !
رينا – شامتة – ليفتخر العزيز بعد اليوم بامرأته !
رفقا – حسداً – لقد ملأ الارض امتداحاً بها وبمحاسنها !
طيبا – بمكر – جميع نساء مصر امامه ، فلم يختر سوى راعيل !
الجميع – شامتات – ليهنأ براعيل ! ليهنأ !...

– يخرجن –

١١

ضحوة براقة . راعيل في دارها وعلى محياها سيماء الغضب !

راعيل — في نفسها — وحرمة الآلهة ، لأعملن على هلاكه او سجنه ! انا راعيل اطلبه اليّ فيمتنع ؟! من يكون هذا العبد ؟! هو الجمال ! ويكفيه انه جميل حتى يقتلني بامتناعه ! هو الجمال ! ويكفيه انه جميل حتى اسجد على رجليه كما اسجد عند اقدام الآلهة ! فيالله الجمال كم جعل الآلهة عبيداً للبعيد ! . . . وآلهتنا ؟ اولم تملأ الوادي صرخات عشاق ، ودماء ضحايا عشاق ؟! . . لن اسكت عن هذه القحة التي بدرت منه ! . .

— تدخل اختها هادا —

راعيل — اختي !

هادا — بدهشة — اختي ! أحقاً ما يقال يا اختي ؟!

راعيل — ماذا ؟!

هادا — انتِ راودت يوسف عن نفسه ؟!

راعيل — كذب القائلون ! ومن قال هذا ؟!

هادا – جارتنا قاديم اتت الي في هذا الصباح وقالت ان طيبا اخبرتهـا وكان معها رينا ورفقا !

راعيل – أصحيح ما تقولين يا هادا ؟! ومتى اخبرتها ؟

هادا – صحيح وربي ! منذ يومين !

راعيل – اذهبي يا هادا وآتيني بهن جميعاً ! لا تتأخري يا اختي !

هادا – خارجة – لا لا ابداً ، اريد ان اعلم الحقيقة !

راعيل – في نفسها – من نقل هذا الخبر ؟ فوطيفار ؟ لا ، يستحيل ان يكون فوطيفار ! الخدم ؟ لم يكن منهم احد في الدار ! يوسف ؟ لا اظن ! اذاً من ؟! .. الآن اريهن من احببت ، وليشمتن بي بعد ، ان كنت خاطئة استحق الشماتة !

– تتقدم الى الباب –

راعيل – منادية – تعال يا غلام .

– يأتي البها غلام –

راعيل – ناد يوسف !

الغلام – خارجاً – سمعاً مولاتي .

– يدخل يوسف –

راعيل – الى يوسف – الآن عندما ترى الزائرات دخلن الى غرفتي ، تقف في هذه الغرفة قرب الباب .

ـ وتشير الى غرفة بجانبها ـ

وعندما آمرك تخرج اليهن ! . . .

يوسف – كما تريد سيدتي .

راعيل – اذهب الان !

ـ ينصرف يوسف . تجلس راعيل على سريرها مفكرة . بعد مدة تدخل هادا ـ

هادا – الى راعيل – هاهن آتيات يا راعيل .

راعيل – متقدمة نحو الباب – اهلا بالصديقـات ، ادخلن . . . ادخلن . . .

ـ تدخل النسوة ـ

كيف حالكن ؟ كيف حالك يا طيبا ؟

ـ مشيرة الى المتكأ ـ

اجلسي يا قاديم ، استريحي يا رينا ، وانت يا رفقا ، ما بالك لا تجلسين ؟ كيف حالكن ؟

الجميع – بخير وعافية .

رفقا – ضاحكة – هاءنذا كالبقرة نشيطة ضامرة !

ـ يضحكن ـ

ـ تنهض راعيل وتأتي لكل واحدة منهن بتفاحة وسكين فيبدأن بالتقشير ـ

راعيل – « اخرج عليهن » . . .

– يخرج يوسف من غرفته . النسوة يتابعن
تقشير التفاح ناظرات اليه ذاهلات –

رفقا – لله ما اجمله !
طيبا – ما اجمل خلقه !
رينا – « حاش لله ما هذا بشراً ! »
قاديم – « ان هذا الا ملك كريم ! »

– هادا صامتة لا تتكلم –

راعيل – الى طيبا – كيف ترين يوسف يا طيبا ؟!
طيبا – لو احظى منه بقبلة !
راعيل – « ذلك الذي لمتنني فيه ! ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ! »
الجميع – أطع مولاتك يا يوسف !
راعيل – ناظرة الى يوسف – « ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن
وليكونن من الصاغرين ! . . . »
يوسف – خارجاً – « رب السجن احب الي مما يدعونني اليه ، والا
تصرف عني كيدهن ، اصب اليهن واكن من الجاهلين ! »

– النسوة تتبع يوسف بنظراتها
معجبات بجماله –

رينا – ناظرة الى يدها – ما بال يدي يسيل الدم منها ؟!

رفقا – متعجبة – ويدي ؟ !

قاديم – دهشة – وانا ايضاً !

طيبا – باستغراب – لقد جرحت يدي ولم اشعر !

قاديم – لقد استولى يوسف على لبنا !

رفقا – وعلى شعورنا ، فلم نعد نشعر وقد جرحت اصابعنا !

طيبا – ناهضة – لا تُلام ، لا تلام !.. اتبعنني ..

– يخرجن هادئات صامتات ، وتخرج وراءهن راعيل –

١٢ قبلولة حارة • فوطيفار وراعيل في دارهما •

فوطيفار – يا راعيل ، ان الناس تتناقل حدثك بالنقد واللوم ! لقد علم الناس بما جرى يا راعيل ، وانتشرت حقيقة الامر ، وتأكد لدى الجميع ، انك انت التي راودت يوسف عن نفسه فأبى ! فما العمل يا راعيل ؟ اريد ان امحو هـذا العار عني انا رئيس شرط فرعون !

– راعيل صامتة لا تجيب بشيء. –

فوطيفار – مردفاً – عندي ان آخذ يوسف واسجنه كما لو كان هو المذنب المجرم ! فماذا تقولين ؟!

راعيل – عفواً – اريد ان انال منه وطري !

فوطيفار – وما هو وطرك ؟!

راعيل – منتبهة – لقد فضحني ، اريد ان اعذبه !

فوطيفار – هادئاً – الى السجن !

راعيل – الى السجن ، الى السجن ! . . .

فوطيفار – ولكن ماذا يكون جوابنا عندما نقف بين يدي الاله الديان ، بين يدي اوزيريس ؟! ألا يقذف بنا الى هاوية العذاب ؟! ولكن ،

– يسكت –

ولكن عذاب الآخرة اهون عندي من ان تلصق بي وصمة العار !

– تخرج راعيل من الغرفة –

– الى نفسه – لقد آمنت برب يوسف ، فكيف اسجنه واعذبه ؟! لقد آمنت بالله اله ابيه اسرائيل فكيف ارميه في ظلمات السجن ؟! لا بأس سأسجنه واخصه بعنايتي . ولكن لا ، اليس في سجنه ظلم وارهاق ؟! رباه ، أأقتل راعيل وافر من هذه الارض مع يوسف ؟! لا ، فالعار يتبعني ويعلق بي ! السجن ، السجن !... كل شيء ولا العار يا فوطيفار !...

– يخرج –

١٣

قبيل الغروب . في السجن . يوسف ومعه فتيان .

الفتى الاول – الى يوسف – ما خطبك ايها الشاب ؟

يوسف – دعني !

الفتى الثاني – ماذا اذنبت ؟

يوسف – لم اذنب يا اخي .

الفتى الاول – لمَ سجنت اذاً ؟

يوسف – من غير ذنب !

– يسكتون برهة –

الفتى الثاني – الى يوسف – ما اسمك ايها المسكين ؟

يوسف – اسمي يوسف .

الفتى الثاني – أمن مصر انت ؟

يوسف – لا ، انا من ارض كنعان ؟

الفتى الاول – من ارض كنعان ؟

يوسف – نعم .

الفتى الاول – ومن اتى بك الى مصر ؟

يوسف – لا ادري يا اخي . كنت صغيراً .

الفتى الثاني – الست جائعاً يا يوسف ؟

يوسف – لا .

الفتى الثاني – لا تخجل يا يوسف . لدينا طعـام كاف . اذا اردت ان تأكل فما عليك الا ان تطلب .

يوسف – ومن اين يأتيكما الطعام ؟

الفتيان – من السجن !

يوسف – متى دخلتما السجن ؟

الفتيان – منذ خمسة ايام .

يوسف – ولمَ ؟

الفتى الاول – انا ساقي الملك فرعون .

يوسف – انت ساقي فرعون ؟!

الفتى الاول – نعم .

يوسف – الى الثاني – وانت ؟

الفتى الثاني – وانا خبازه .

يوسف – ولمَ سجنتما ؟!

الفتيان – غضب فرعون علينا !

يوسف – لا حول ولا قوة الا بالله رب ابينا اسرائيل !

الفتى الاول – لرفيقه – ماذا يقول هذا الفتى ؟! رب من ؟!

الفتى الثاني – لم اسمع ، لا ادري !

– الى يوسف – ماذا تقول يا يوسف ؟

يوسف – منتبهاً – لا شيء ، اطلب لكما الفرج القريب .

الفتيان – ولك .

الفتى الاول – الآن يحضر لنا الجندي طعاماً نقتات به، آن وقت العشاء .

يوسف – اسمعا .

الفتيان – تكلم .

يوسف – « لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما »

الفتيان – بدهشة – وكيف ؟!

يوسف – « ذلك مما علمني ربي ! »

الفتى الاول – نبئنا يا يوسف ماذا سيحضرون لنا من طعام ؟!

يوسف – حساء في اوعية صغيرة ، وقد كانت تأتيكما في دلو، وقطعتان من الخبز لكل منكما وقد كانت تأتيه قطعة واحدة .

الفتى الثاني – وانت ؟

يوسف – اما انا فسيأتيني قطعتان من الخبز وعدس وارز في وعاء صغير وكأس من الماء .

الفتيان – سوف نرى !

– بعد قليل يأتي الجندي حاملا الطعام للثلاثة كما قال يوسف تماماً ! –

الفتى الاول – الى رفيقه بدهشة – صدق يوسف يا عجب !

الفتى الثاني – غريب امره !

الجندي – الى الفتيين – هذا لكما ، بماذا تتمتمان ؟!

– الى يوسف – وهذا لك .

– خارجا – سجينان ويتذمران ! . . .

– يبدأون بالاكل –

الفتى الثاني – باستغراب – اخبرنا يا يوسف كيف تعرف الغيب ؟! ذلك امر خطير !

يوسف – الله علمني .

الفتى الاول – وكيف علمك الله ؟ ولماذا ؟!

يوسف – « اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون! واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب . »

الفتيان – مقاطعين – لم نفهم ! عما تتحدث ؟!

يوسف – متابعاً – « ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ، ولكن اكثر الناس لا يشكرون ! »

الفتى الاول – ومن هو ربك ؟

يوسف – « يا صاحبي السجن ، أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار! »

الفتى الثاني – ومن هو الله الذي تقصده ؟!

يوسف – الله ربي وربكم اجمعين .

الفتى الاول – تعني فرعون وآباءه ؟

يوسف – لا !

الفتى الاول – لرفيقه – يعبد الهاً غير آلهتنا !

الفتى الثاني – كافر هذا الشاب !

يوسف – « ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ! »

الفتى الثاني – لرفيقه – انا نراه من الصالحين يا بيصوص ، ومن العالمين بالغيب ،فلنسأله عله يؤول لنا حلمينا ! ..

الفتى الاول – سله !

الفتى الثاني – يا يوسف ، هل انت ماهر في تأويل الرؤى؟

يوسف – نعم والحمد لله .

الفتى الاول – لقد استيقظت صباح هذا النهار ، وهذه الرؤيا تجول في مخيلتي !

يوسف – وما هي ؟

الفتى الاول – « اني اراني اعصر خمراً »،« كنت في حلمي واذا كرمة امامي ، وفي الكرمة ثلاثة قضبان . وهي اذا افرخت طلع زهرها وانضجت عناقيدها عنباً ، وكانت كأس فرعون في يدي ، فأخذت العنب وعصرته في كأس فرعون ، واعطيت الكأس في يد فرعون » ، « نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين . »

يوسف – الى الثاني – وانت ؟

الفتى الثاني – « اني اراني احمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه »

« كنت انا ايضاً في حلمي واذا ثلاثة سلال حوٍّ ارى على رأسي ، وفي السل الاعلى من جميع طعام فرعون من صنعة الخباز والطيور تأكله من السل عن رأسي ! »

يوسف — مشيراً الى الاول — « يا صاحبي السجن ، اما احد كما فيسقى ربه خمراً » . « الثلاثة القضبان ، هي ثلاثه ايام . في ثلاثة ايام ايضاً يرفع فرعون رأسك ، ويردك الى مقامك ، فتعطي كأس فرعون في يده كالعادة الاولى حينما كنت ساقيه » و « اذكرني عند ربك » « وانما اذا ذكرتني عندك حينما يصير لك خير تصنع الي احساناً وتذكرني لفرعون ويخرجني من هذا البيت لاني قد سرقت من ارض العبرانيين ، وهنا ايضاً لم افعل شيئاً حتى وضعوني في السجن ! »

— مشيراً الى الثاني — « واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ! »

الفتى الثاني — !!!

يوسف — مردفاً — « الثلاثة سلال هي ثلاثة ايام . في ثلاثة ايام ايضاً ، يرفع فرعون رأسك عنك ، ويعلقك على خشبة وتأكل الطير لحمك عنك ! . . »

الفتى الثاني — مصفراً — انا امزح يا اخي ! لم ار شيئاً مطلقاً ! . . .

يوسف — « قضي الامر الذي فيه تستفتيان ! »

الفتى الاول — ان صح ما قلت فانا اؤمن بالهك .

الفتى الثاني — وانا اموت مؤمناً بربك .

يوسف – لا شك ستؤمنان .

الفتيان – تاركين الطعام – الى النوم ...

– ينهضان ويأويان الى فراشهما –

يوسف – اما انا فآوي الى ربي في عشية هذا النهار المحتضر ...

– ينهض ويتغلغل في الظلام –

١٤

الوقت اصيل . يعقوب في داره وامامه اولاده وبجانبه راحيل وبنيامين . الحزن يغمر الدار .

روبين – لمَ انت حزين يا ابي ؟ هكذا الله اراد .

يهوذا – ولا مرد لارادته .

يعقوب – الا تكفيني يا رب مصيبتي بفقدان يوسف ، حتى فقدت ازواجي ايضاً ؟!

همس – لا يزال يذكر يوسف !..

يعقوب – حزيناً – ذاك حكم الله ، الا ان حكم الله لعادل ، واذا اراد الله ان يدين قوماً ادانهم قبل يوم الحساب واخذهم بذنوبهم ! ذلك ليبلوهم لعلهم يهتدون ! ...

الجميع – رحمهن الله !..

ابناء ليا – رحمك الله يا امي .

إبنا بلهة – الله يرحمك يا امنا .

إبنا زلفة – رحمة الله عليك يا والدتنا .

همس – لمَ اختارهن الله وحدهن ؟ وترك راحيل؟!

يعقوب – ساوا الله يا ابنائي ان يديم لكم هذه الخالة الحنونة .

البعض – ادامها الله .

همس – في الشقاء والعذاب !..

يعقوب – هذه امكم يا ابنائي بعد امهاتكم . لقد ماتت امهاتكم قريرات الاعين بكم ، دون ان يفجعن باحد منكم . اما هذه الام المسكينة ، اما راحيل فقد فقدت بكرها وهو بعد صبي ، ومن حين ان فقدته ، من حين ان غاب عن ناظريها ، وهي تبكي ! اثنا عشر شهراً تمر وقلبها طافح بالحزن الاسود ! فيا لحياة الموت افضل منها !...

راحيل – رحمك الله يا ولدي ! رباه لمَ حرمتني اياه ، لمَ لم تدعه امام عيني ، ازوجه كما تزوج اخوته وارى له اولاداً كما لاخوته ؟!

نفتالي – لترى له اولاداً كما لنا ؟! يا لهؤلاء الاولاد ، الذين ابتلوا باشد الامراض ! يا لهؤلاء الاولاد ، الذين غضبت عليهم الحياة ، فابت ان تتقبلهم كما تتقبل سائر الاطفال ! ... اولئك هم اولادنا !...

يعقوب – الى راحيل – صبراً يا راحيل صبراً ! سيرينا الله بضعة ايام سعيدة في آخر حياتنا ...

– الى روبين – كيف حال ولديك يا بني ؟ كيف حال ؟ فلو اخبرتني زوجتك انه كان مريضاً .

روبين – ولا يزال يا ابي !

يعقوب – عافاه الله .

– الى ابنائه – وانتم كيف حال ابنائكم يا اعزائي ؟

الجميع – مرضى .

يساكر – ابني تولاع يشكو الماً في صدره .

يعقوب – عندما تهم بالذهاب قل لي لاعطيك عشباً يصرف عنه الالم .

اشير – وابني ؟ ليس لدائه دواء !..

جادا – اما انا فقد تركت امرأتي قرب ولدها تنتحب وتنوح ! ...

يهوذا – دعونا من ذكر الامراض ، فقد مرضت قلوبنـا ، وذبلت حياتنا !...

يعقوب – احمدوا الله على كل حال .

نفتالي – اجل ! اجل !

همس – على كل حال ... على كل حال ...

يعقوب – الى لاوي – وانت مالك هادىء ؟

شمعون – يومه سعيد ! لقد سرق جدياً وباعه !

يعقوب – اعوذ بالله !

همس – اعوذ بالله ! اعوذ بالله ! .. مـاذا نفعل اذا لم نسرق ؟! أنموت جوعاً ؟!...

لاوي – نريد ان نأكل ، نريد ان نعيش ! ...

همس – خذ ما وصلت اليه يداك ! .. ولا تخف !

يعقوب – الله يغفر لكم !...

همس – بهزء – الله ! الله !...

يعقوب – وصلاتكم ، هل انتم مثابرون عليها ؟

البعض – نعم يا ابي ...

همس – بسخرية – الصلاة ؟! طبعاً ، طبعاً !...

يعقوب – علموها ابناءكم ونساءكم يا اعزائي . علينا ان نتبع ابداً ملة ابينا ابراهيم .

البعض – ان شاء الله .

همس – بتهكم ملة ابينا ابراهيم !...

يعقوب – هلموا يا بَني الى الصلاة ... هلموا الى بيت الله ..

همس – بهزء – الى بيت الله !...

– ينهضون يتقاعسون ويخرجون –

صوت الله – « الى كم احتمل هذه الجماعة الشريرة المتذمرة علي ؟! »

١٥

قبلولة ساكنة . الملك فرعون في قصره على عرشه . وزير عن يمينه ووزير عن يساره ، وامامه الساقي بيصوص ، وعلى الباب حاجب .

فرعون — إيتوني بالكهنة والسحرة والمنجمين !

— يصفق بيصوص الساقي ، فيدخل غلام ويسجد ، ثم يقف —

بيصوص — الى الغلام — اذهب الى الكهنة والسحرة والمنجمين ، ومرهم بالمجيء الى الملك .

— يخرج —

فرعون — لقد ازعجتني رؤيا الليلة البارحة يا ساشان !

ساشان — الوزير الاول — عسى ان يكون تأويلها خيراً .

واهان — الوزير الثاني — لديك ايها الرب كهنة عالمون ، وسحرة قادرون ، ومنجمون ماهرون ، يكلمون الآلهة ، عارفون في ضروب السحر ، ويتفرسون في النجوم !.. الآن يحضرون بين يديك ايها الرب ، ونرى ما سيكون ...

- بعد برهة يدخل الكهنة والسحرة والمنجمون .
يسجدون امام الملك فرعون ثم يقفون بخشوع -

رئيسهم - مرنا ايها الرب ونحن حاضرون .

فرعون - لقد حلمت حلماً غريباً ! « اني ارى سبع بقرات سمان يا كاهن سبع عجاف ! وسبع سنبلات خضر واخر يابسات ! .. يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون ... »

- يلتفت الكهنة والسحرة والمنجمون بعضهم الى بعض معجبين بهذه الرؤيا الغريبة -

بيصوص - مالكم ؟!

- يخرج الكهنة والسحرة من جيوبهم كتباً ويبدأون بتصفيحها وهم جلوس . ويقعد المنجمون على الارض ، ويبسطون امامهم قطعاً من القماش ، ويأخذون من جيوبهم صدفاً واقلاماً ويبدأون بمهمتهم . الحاضرون ينظرون اليهم منتظرين النتيجة -

احدهم - بعد مدة - لم اصل الى نتيجة ما !

آخر - وانا ايضاً !

آخر - غريب هذا الحلم !

آخر - لم أر تأويله في كتابي !

آخر - لا ولا شيئاً يقربنا من الرؤيا !

رئيسهم – حتى ولا انا !

فرعون – ماذا تقولون ؟ !

الجميع – « اضغاث احلام ! »

رئيسهم – « وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين ! »

بيصوص – « انا انبئكم بتأويله فارسلون » .

فرعون – الى اين ؟!

بيصوص – في السجن غلام يا مولاي ، من غلمان العزيز فوطيفار ، سجنه قبل ان يموت ، وهو لا يزال سجيناً !

فرعون – وعلامَ يقدر ؟

بيصوص – منذ سبع سنوات ، بينما كنت في السجن مع الخباز المعدم ، حلمنا « فعبر لنا حلمنا . عبر لكل واحد بحسب حلمه . وكما عبر لنا هكذا حدث ! ردني الى مقامي ، واما هو فعلقه ! »

فارسلني ايها الملك احضره بين يديك ، عله يعبر لك رؤياك .

فرعون – اذهب يا بيصوص واحضره ، السجن قريب ، لا تبطيء .

– يخرج بيصوص –

واهان – بعد برهة – يا سيدنا فرعون ! لقد تبين للكهنة في كتبهم وعلومهم ، ان اله الماء نو سيغضب بعد اسبوع ، فيفيض النيل ويطغى ماؤه على مصر !

الحاضرون – نعوذ بالآلهة !

ساشان – علينا ان نهيء القربان ليهدأ !

فرعون – اعدوا عذراء وقربوهـا للنيل قربانا ! ... دعوني الان ! انا بانتظار الغلام السجين !

رئيس الكهنة – الى فرعون – اضغاث احلام يا ربنا !

رئيس السحرة – ليس لرؤياك تعبير ايها الرب !

رئيس المنجمين – نحن لم نقدر على شيء ، فهل من المنتظر ان يعبر غلام مجرم سجين ؟!

فرعون – قد ...

ـ يسكتون مفكرين ، والكهنة والسحرة والمنجمون لا يزالون يجتهدون . بعد برهة يدخل الساقي ، ويسجد ثم يقف ـ

بيصوص – مولاي الملك ! ها هو الغلام في الخارج .

فرعون – ادخله !

– الى ساشان – خاطبه انت يا ساشان .

ـ يدخل يوسف . يقترب من فرعون بكل هدوء ورصانة ، دون ان يسجد ! ـ

الجميع – اسجد ! اسجد ! اسجد !

واهان – اسجد لسليل الشمس !

الكهنة – اسجد لنائب الآلهة !

السحرة – اسجد يا كافر !

يوسف – لا استطيع ، فقد انهكني السجن ووهن عزمي !

فرعون – دعوه ، دعوه !

ساشان – الى يوسف – يقال انك تحسن تأويل الرؤى فاسمع ! بينما كان ربنا فرعون نائماً في الليل الفائت « اذا هو واقف عند النهر ، وهو ذا سبع بقرات طالعة من النهر ، حسنة المنظر وسمينة اللحم ، فارتعت في روضة . ثم هوذا سبع بقرات اخرى طالعة وراءها من النهر قبيحة المنظر ورقيقة اللحم فوقفت بجانب البقرات الاولى على شاطيء النهر ، فأكلت البقرات القبيحة المنظر والرقيقة اللحم السبع الحسنة المنظر والسمينة ! »

يوسف – ثم ،

ساشان – ثم استيقظ فلم ير شيئاً ، فعاد ونام . « وهوذا سبع سنابل طالعة في ساق واحد سمينة وحسنة . ثم هوذا سبع سنابل رقيقة وملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها ، فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السبع السمينة الممتلأة ! »

يوسف – الامر بسيط !

ـ يضحك الكهنة والسحرة والمنجمون ضحكة الاستهزاء ! ـ

ساشان – هات يا غلام !

يوسف – « تزرعون سبع سنين دأبا . فما حصدتم فذروه في سنبله ، الا قليلا مما تأكلون . ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن

ما قدمتم لهن ، الا قليلا مما تحصنون ! ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون .. »

بيصوص – انتهيت يا يوسف ؟

يوسف – نعم .

بيصوص – تعال .

– يأخذه ويخرجه ويعود –

فرعون – لقد احسن هذا الغلام التعبير ! ائتوني به .

– يصفق بيصوص ، فيدخل غلام –

بيصوص – قل للفتى ان يرجع .

– يخرج الغلام ثم يعود –

الغلام – مولاي ، هو في الباب واقف . لقد قال لي : «ارجع الى ربك واسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ؟! »

فرعون – النسوة ؟!

الجميع – النسوة اللاتي قطعن ايديهن !...

فرعون – قل له ان يدخل ، وانا انظر في امرهن !

– يخرج الغلام ويأتي يوسف –

فرعون – الى يوسف – ما خطبك يا فتى ؟ ما بال النسوة ؟

يوسف – سيدي ، ان في المدينة ، هنـا بجوار القصر ، نسوة جرحن اصابعهن بانفسهن ، فما شأنهن ؟!

فرعون – دهشاً – ومن هن ؟

يوسف – حدث وقع في دار امرأة العزيز ، والنسوة هن جاراتها طيبا ورفقا وريناوقاديم ... لقد راودنني عن نفسي فاستعصمت! ...

فرعون – لا بد ان يكون هناك امر خطير !

– الى بيصوص – اذهب يا بيصوص ، ومر غلاماً يقصدهن الى ديارهن ويأتِ بهن جميعاً !

يوسف – الى بيصوص – لتأتي معهن امرأة العزيز راعيل .

– يخرج بيصوص ثم يعود –

فرعون – الى يوسف – لقد اجدت التأويل يا يوسف ، فهل لك ان تقول لي متى تبدأ سنوات الخير ؟

يوسف – اليوم يا مولاي ...

فرعون – اليوم ؟!

– يبتسم الكهنة والسحرة والمنجمون ابتسامة السخرية –

يوسف – نعم يا سيدي .

فرعون – وما دليل الخير يا فتى ؟

يوسف – ثلاث سنابل على الساق الواحد !

فرعون – ثلاث سنابل ؟!

يوسف – نعم . والسحاب قد انتشر في السماء وعما قريب تمطر .
فرعون – اليوم ، في فصل الصيف تمطر ؟! اذهبوا وتحروا صدق ما يقول !

- يخرج بيصوص والكهنة والسحرة والمنجمون -

فرعون – وحق الآلهة ، ان كنت كاذباً لأعلقك !
يوسف – في نفسه – معاذ الله ان اكذب !

- يعود بيصوص فرحاً -

فرعون – ماذا ؟!
بيصوص – سيدي على الساق ثلاث سنابل ، وفي السماء غيوم متلبدة !
فرعون – الى بيصوص – واين الكهنة والسحرة والمنجمون ؟!
بيصوص – تاهوا يأوون الى هياكلهم !...
فرعون – تاهوا ؟!
بيصوص – نعم مولاي !..
يوسف – الى فرعون – فروا من وجه الحق !
فرعون – صدقت يا يوسف صدقت !..
– الى الحاضرين – انصرفوا ...

- يخرج الحاضرون فيبقى يوسف وفرعون -

فرعون – الى يوسف – من اين لك علم التأويل ؟!

يوسف — من عند الله ربي .

فرعون — ومن هو ربك ؟!

يوسف — ربي هو الله رب ابراهيم النبي .

فرعون — اذن انت عبراني كافر بالهتنا ؟!

يوسف — نعم يا مولاي ، انا ابن يعقوب النبي !

فرعون — أوتكفر بآلهتنا يا يوسف ؟!

يوسف — نعم ، وما تعبدون الا احجاراً !

فرعون — احجاراً ؟!

يوسف — اجل ! انتم لا تعبدون الا اصناماً صماء بكماء لا تتحرك ولا ترى !

- يدخل غلام . يسجد ويقف -

فرعون — مضطربا — ماذا ؟!

الغلام — ايها الرب ، ان النسوة في الخارج .

فرعون — مرهن ان يدخلن ، وأتني بجنديين !

- يخرج الغلام فتدخل النسوة -

فرعون — الى النسوة — «ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه ؟!»

النسوة — « حاشا لله ما علمنا عليه من سوء ! »

فرعون — حاشا لله ؟! واي اله هذا الذي جاءنا به هذا الرجل ؟! أوأنتن ايضاً مؤمنات باله يوسف كافرات بآلهتكن ؟!

يوسف — سلهن يا مولاي كيف جرحن اصابعهن !

فرعون – كيف ، ايتها الكافرات ؟!

طيبا – كنا نقشر التفاح ، فنظرنا الى يوسف ، وبهر جماله البابنا ، ونسينا ماذا نفعل ، فجرحنا اصابعنا دون ان نشعر ! ...

فرعون – الى راعيل – وانت مالك لا تتكلمين ؟!

راعيل – « الآن حصحص الحق ! انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين » .

يوسف – الى فرعون – سلها يا مولاي من الذى شهد من اهلها ؟!

فرعون – الى راعيل – من ؟ وعلام شهد ؟

راعيل – طفل في العام الثاني من سنه ، شهد اني انا الذي راودت يوسف عن نفسه ، وكنت قد انكرت ذلك !

فرعون – طفل ؟! طفل صغير ؟! واين هو ؟!

راعيل – مات يا مولاي في اليوم التالي ...

فرعون – مات ؟!

يوسف – مات ؟! رحمه الله !

راعيل – ناظرة الى يوسف – « ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب ، وان الله لا يهدي كيد الخائنين ! »

يوسف – « وما ابرىء نفسي ، ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ، ان ربي غفور رحيم . »

فرعون – الى النساء – اخرجن وانصرفن الى دياركن !

– يخرجن –

يوسف – الى فرعون – ما كنت لأعلم انهن مؤمنات بالله ربي !

فرعون – اذاً كيف سمعن بهذا الاله ؟!

يوسف – اظن ان العزيز هداهم الى الصراط المستقيم .

فرعون – وهل كان العزيز فوطيفار مؤمناً بالهك ؟!

يوسف – كان ولا يزال !

فرعون – لا يزال مؤمناً في قبره ؟!

يوسف – وهل مات العزيز ؟

فرعون – منذ عامين !

يوسف – رحمة الله عليه ! . . .

فرعون – لقد ظهر لي صدقك يا يوسف ، فهل لك ان تخبرني ما كيفية ربك ؟

يوسف – ربي واحد ، خلق كل شيء ، يرانا ولا نراه . . .

فرعون – لنفسه – ان تأويل هذا الرجل لحلمي ، وصدق ما اوّل ، وتكلم الطفل ، كل هذا دليل على ان الهه قادر بعينه في كل شيء !

– يسكت –

ولكن ماذا ؟! أأترك دين آبائي واجدادي ؟! هذا لن يكون! ولكن لمَ لا ؟! اليست آلهتنا احجاراً ؟ . . .

– يسكت –

ولكن الاعتقاد ! اجل الاعتقاد ! العقيدة هي الدين ، والدين هو العقيدة . ان الدين عقيدة نعتنقها ، لاننا وجدنا آبائنا عليها ، دون ان نبحث في صحتها او فسادها ! . . .

– الى يوسف – اني آمنت بربك يا يوسف ! . . .

يوسف — رافعاً يديه الى العلاء — لك الحمد يا ربي !

— الى فرعون — لن تسمح لاحد يا فرعون ان يسجد لك بعد الان !

فرعون — دهشاً — وكيف ؟! الست انا سليل الشمس ، ونائب الآلهة ؟!

يوسف — لا ! انت بشر مثلنا ، عبد من عبيد الله !

فرعون — هادئاً — انا بشر مثلكم . عبد من عبيد الله . ولكن يا يوسف ، لا اريد ان ادع قومي يثورون علي ، وهم لاشك ثائرون اذا علموا بخروجي على دين آبائي واجدادي ، وعلى تقاليدنا وعاداتنا !

يوسف — لن ندعهم يشعرون !.. سيتغلغل دين الله في مصر مع الايام !

فرعون — « انك اليوم لدينا مكين امين ! » لنعد يا يوسف الآن الى تأويل الرؤيا وما انطوت عليه من اسرار ...

يوسف — لنعد .

فرعون — هاهي سنون الخير قد بدأت ، فمن لي برجل حازم التي على عاتقه هذه التبعة الثقيلة ؟

يوسف — « اجعلني على خزائن الارض ، اني حفيظ عليم » .

فرعون — وكذلك يكون . اسمع يا يوسف . ستتزوج هذه المرأة التي راودتك عن نفسك فأبيت ، فتصبح عزيز مصر واجعلك على خزائنها . واما انا فلن اظهر للناس بعد اليوم ، لئلا يسجدوا لي ... هلم يا يوسف لنرى بركات الله ونعمه ...

- ينهضان ويخرجان . بعد
خروجهما يدخل الجنديان -

احدهما - للآخر - اين فرعون ؟! اين ربنا ؟!

الثاني - راح ...

- يعودان . بعد برهة يدخل بيصوص -

بيصوص - لنفسه - لقد انهار عرش فرعون امام عرش الله ! لقد تحطمت اصنام الآلهة امام اله يوسف الذي آمنت به غب خروجي من السجن ... تبارك المؤمنون !

- يخرج -

صوت الله - « وكذلك مكنا ليوسف في الارض ، يتبوأ منها حيث يشاء. ... »

١٦

ضحوة عابسة في ارض كنعان . يعقوب في داره وامامه راحيل وابناؤه وازواج ابنائه ، وبعض احفاده ..

يعقوب — الى اولاده — اين باقي ابنائكم يا بني ؟

البعض — هم في الخارج يلعبون .

روبين — لقد اتيناك بهم وبامهاتهم يا ابي .

يعقوب — ابناء اعزاء ، واحفاد احباء ، هل من جديد يا بني ؟

البعض — كل يوم جديد ! ..

روبين — ان حياتنا سلسلة من الشقاء والشر ، كلّ يوم فيها حلقة ! ..
لقد خيم الفساد في ربوعنا ولن ينزح عنها حتى تزول الاكوان !

يعقوب — ماذا ؟!

البعض — فسق وفجور !

روبين — فسق وفجور ، فانصفنا !

يعقوب — ماذا حدث ؟!

يهوذا — نفتالي واشير يدنسان عفاف زوج يساكر !

همس — من النسوة — يدنسان عفافها ؟! واي عفاف لهذه العاهرة ؟!

يساكر – يا لهما من زنديقين ! اطلب عقابهما !

البعض – اسمع ، اسمع !

زبولون – بالصواب نطقت يا اخي ! يجب الاقتصاص من هذين الخائنين!

دانا – أنسيت نفسك يا زبولون ؟!

جادا – أنسيت يوم كنت وامرأة لاوي في الغابة ؟!

امرأة لاوي – كذبت كذبت يا زوج العاهرة !

امرأة جادا – انت العاهرة ، انت الماجنة !

اصوات – اسكتا ! اسمعا ! . . .

يعقوب – يا لله ! لكم الله ايها الاشرار !

يساكر – الانصاف ، الانصاف يا ابتاه !

يعقوب – ألا تخشى الله يا نفتالي ؟! وانت يا اشير ؟! ملعونان من الله الى الابد ! . . .

نفتالي – ارى يساكر قد سخط الان ! اليس من حقي انا ايضاً ان اسخط ؟! لقد رأيته يفر من داري منذ يومين ! . . الا يجب عقابه ؟!

– الى يساكر – مالك لا تفوه ؟!

– سكون مخيم . هدوء تام –

يعقوب – أحقاً يا يساكر ؟! تفعل الشر وتطلب عقاب الشرير ؟! تأثم وتتطالب بمحاربة الآثم ؟!

روبين – استغفر الله ! . . .

– الى ابيه – يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا ! . . .

يعقوب – لقد غضب الله عليكم يا بَني ! ولكن سوف استغفره لكم ...

هس – بهزء – لقد امحت ذنوبنا ! .. نرتكب الفاحشة ثم نتوب!

يعقوب – يا بني اتقوا الله ...

الجميع – انا لله لمتقون ...

شمعون – لقد شعرنا بخير كثير في السنين الاخيرة !

نفتالي – حقاً ، فموسم القمح سخي !

اشير – والزيتون ! قناطير مقنطرة !

يساكر – غريبة هي هذه المواسم يا ابي ! منذ سبعة اعوام والبركة تتدفق على ارزاق الناس ، والارباح وافرة !

يعقوب – لا تعجبوا يا بني ، هذه نعم الله ، ونعم الله لا تحصى ! ... وماذا يفعل الناس بمحاصيلهم ؟

دانا – يقتاتون بها ، فهم في بحبوحة من العيش .

جادا – ويبيعون ما تبقى باثمان بخسة .

يعقوب – انهم بعملهم هذا لمخطئون !

زبولون – ولمَ يا أبي ؟!

يعقوب – كان عليهم ان يدخروا ما يزيد عن حاجتهم !

شمعون – ولمَ ؟!

يعقوب – كان يجب عليهم ان يبقوه لهذا العام !

لاوي – ولكن اراضيهم مبذورة ، واشجارهم مزهرة !

بنيامين – اما نحن ، فلا غلة لدينا ولا ارض !... كأننا من المغضوب عليهم ! كأن الله شاء الا يكون لنا بقعة من الارض نملكها

حلالا ونستثمرها ! حياتنا قائمة على السرقة والكذب والخداع!

يعقوب – سيكون هذا العام ، عام قحط وجوع وفاقة ! . . .

الجميع – يا لله ! . . .

يعقوب – يا اولادي ، لقد هبط الوحي علي في الليلة البارحة وقال لي :
يا يعقوب! لقد انتهت سنوات الخير السبع ، واليوم تبدأ اعوام القحط السبعة ! لن تنبت البذور ولن يثمر الزهر ، فارسل بنيك الى مصر يمتاروا ، فان القوم هناك قد ادخروا غلالهم لهذا الوقت العصيب ! . . .

الجميع – نعوذ بالله من شر الفاقة ! . . .

يعقوب – انكم يا بني اسرائيل ، لا تعرفون الله الا في الوقت العصيب ، شفاهكم تذكره ، وقلوبكم تنكره ! السنتكم تخافه ، وافئدتكم تخادعه ! . . . يا لكم من جماعة شريرة ! . . لن تروا زهرة حية على غصن ! . . . ذلك من غضب الله ، وما الله بظالم لعباده ، ذلك بما قدمت ايدينا !

الجميع – يا ويلتنا ! . .

يعقوب – الى نفتالي – اذهب يا نفتالي ، الى شجرة الزيتون القائمة قرب الجدار ، وانظر ما حل بزهرها ! الا انكم كالزهر ستذبلون ، وفي هواء الكون تتطايرون تائهين ! . . . ولن يعرف ابناؤكم مستقراً !

– يخرج نفتالي ويتبعه لاوي وبنيامين –

يعقوب – ستسمعون الآن صراخ الناس ! . . .

اصوات — من الخارج — يا نبي الله ، يا يعقوب !
يعقوب — الى ابنائه — اسمعوا ، اسمعوا !

— ينهض روبين الى الباب —

روبين — في الباب — رجال ونساء واولاد تائهون !

— ينهض يعقوب الى الباب —

اصوات — من الخارج — يا نبي الله ! داهمتنا الريح الشرقية ! حرق الزهر ! يبس الشجر ! . . .
يعقوب — في الباب — اسمعوا يا عباد الله . . .
نفتالي — من الخارج — الشجرة يابسة !
لاوي — من الخارج — الزهر على الارض !
بنيامين — من الخارج — والريح شرقية محرقة !
يعقوب — في الباب — يا عباد الله اسمعوا ! لن تنبت البذور ، ولن تثمر الازهار ! لقد هبط الوحي علي وقال لي ان الناس في مصر قد ادخروا ارزاقهم لهذه السنوات القاحلة ، فاذهبوا الى مصر وامتاروا عندما تضطرون . اتبعوني لنصلي لله ونطلب منه الرحمة ! . . .

— يخرج ويتبعه القوم الى بيت الله —

صوت الله — «. . ويسعون في الارض فساداً ، والله لا يحب المفسدين!»

١٧

قبيل العصر . يوسف في قصره جالس على سريره ، وحوله الخدم والجند .

اصوات – من الخارج – نريد ان نأكل ! ابناؤنا تموت جوعاً انساؤنا تتشرد ! اموالنا فقدت ، حيواناتنا هلكت ! لقد انتشر الفناء !...

يوسف – الى الجنود – ادخلوا الناس فرداً فرداً ! ...

– يقف الجنود في الباب ، ويدخلون الناس الواحد تلو الاخر . يدخل رجل –

يوسف – للرجل – بماذا اتيت تبتاع ؟

الرجل – هذه حلى امرأتي واثوابها ! لم يعد لدينا دراهم يا مولاي !

يوسف – هاتها .

– يعطيه اياها –

– الى جندي – خذه واعطه كيلا .

– يخرجان ويدخل رجل آخر –

يوسف – الى الرجل – اين الثمن الذي تحمله ؟

الرجل – غلماني في الخارج يا مولاي ، غلامان وجاريتان ٠

يوسف – الى الجندي – خذ غلمانه واعطه كيلا ٠

– يخرجان –

يوسف – الى نفسه – سنة تمر والناس تزدحم على الباب وتصرخ ! لقد احسنا بادخارنا القمح ٠٠٠ امامنا بعد ست سنوات ، ولدينا مؤونة كافية ٠٠٠

اصوات – من الخارج – ابناؤنا جياع ! نريد ان نأكل ! نريد ان نعيش ! ارحمنا ايها العزيز ! ارحمنا يا تيفون !٠٠٠ يا اله الشر والفاقة ! لمَ غضبت علينا ؟ ارفع غضبك عنا !٠٠٠

جندي – في الباب – يا ايها العزيز ان في الخارج رجالا من ارض كنعان قد جاؤوا يشترون فهل تبيعهم ؟

رجل – من الداخل – نريد ان نشبع جياعنا قبل جياع الغير !

يوسف – قل لهم ان اهل مصر منكوبون ، لا يستطيعون ان يغيثوا احداً ٠٠لا لا قل لهم ان يدخلوا !

الجندي – في الباب – ادخلوا ايها الكنعانيون ٠

– يدخل اخوة يوسف –

اصوات – من الخارج – نحن اولى من الغريب ! نحن اولى ! نحن اولى !٠٠٠

يوسف – متفرساً اخوته – أفي ارض كنعان قحط ايضاً ؟
الاخوة – نعم ايها العزيز !

– يطرق يوسف مفكرا –

روبين – هذه ورقنا ايها العزيز ، جئنا بها اليك لتطعمنا ...
نفتالي – وهذه بضاعتنا ايها المولى !
يوسف – كم انتم ؟
يساكر – عشرة اخوة .
يوسف – انتم عشرة اخوة ؟!
الجميع – نعم .
يوسف – تريدون ان تأخذوا حاجتكم فقط ؟
روبين – يا ايها العزيز لنا ايضاً اخ واب وخالة في البيت !
يوسف – وكيف اعلم صدق ما تقولون؟اذهبوا وائتوني بهم ثم عودوا .
زبولون – الشقة بعيدة ! وابونا كهل ، وخالتنا ثكلى ، وابنها صغير! ..
يوسف – اذن ، سأعطيكم الان حاجتكم وحاجة ابيكم واخيكم وخالتكم ، ولا تعودوا ابداً .
الجميع – يا ايها العزيز !
يوسف – اذاً « ائتوني باخ لكم من ابيكم ، الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين؟ »
– الى الجندي – تعال يا رجل واملأ اوعيتهم .
– الى اخوته – « فان لم تأتوني به ، فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ! »

روبين – « سنراود عنه اباه ، وانا لفاعلون . »

يوسف – هاتوا بضاعتكم .

– يعطونه اياها –

امضوا مع الجندي وليأخذ كل منكم كيل بعير .

– يخرجون مع الجندي –

يوسف – الى بعض الخدم – « اجعلوا بضاعتهم في رحالهم » ولا تدعوهم يشعرون ، فهم فقراء منكوبون ! .

– يأخذ بعض الخدم البضاعة من يوسف ويخرجون ليضعوها سرا في رحال الكنعانيين –

يوسف – في نفسه – « لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون . »

– الى القوم – اريد ان اعطي الناس حاجتهم بيدي، اتبعوني، اتبعوني ...

– يخرجون –

١٨

قبيل العصر . في ارض كنعان . يعقوب امام داره مع امرأته وابنه واحفاده ونساء ابنائه .

ـ يبدو ابناء اسرائيل عائدين من مصر ـ

الاولاد — فرحين — عادوا ، عادوا ! جاء ابونا ، جاء ابونا ! ها هم آتون يا جدي ! هيا بنا اليهم ...

ـ يركضون ـ

يعقوب — الى راحيل — لقد انعم الله عليهم وهاهم عائدون .

ـ يصلون تعبين . يضعون جواليقهم ـ

يعقوب — الى ابنائه — اهلاً بالرجال ، اهلاً ، اهلاً ...
الاخوة — لله ما اشد المسير !

ـ يجلسون ـ

يعقوب — هل منَّ الله عليكم يا بني .
الجميع — الحمد لله .

يعقوب – حفظكم الله سالمين وكفر عنكم سيئاتكم ..

– بعد برهة مشيرا الى الرحال –

يا بني ، لقد احسنتم صنعاً . ولكن هذا المقدار لا يكفي ، فلدينا اعوام عدة ملأى بالفاقة !

روبين – « يا ابانا منع منا الكيل ! »

يعقوب – ولمَ يا بني ؟

روبين – لقد سألنا عزيز مصر ، عما اذا كان لنا اخوة ، فقلنا له : لدينا اخ صغير ، فطلب منا ان نأتيه به في المرة القادمة ، والا فلا كيل لنا عنده !

يهوذا – « فارسل معنا اخانا نكتل ، وانا له لحافظون »

راحيل – باكية – كما حفظتم يوسف ؟!

يعقوب – « هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل ؟ »

– ينهض الاخوة ليفرغوا جواليقهم –

الجميع – دهشين – يا ابانا هذه بضاعتنا !

روبين – الى ابيه – « يا ابانا ، ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ، ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ، ذلك كيل يسير ! »

شمعون – يا ابانا ، لقد اكرم العزيز ضيافتنا وكنا لديه اعزاء منعمين فلا خوف على بنيامين ان نأخذه معنا .

يعقوب ـ « لن ارسله معكم ، حتى تؤتوني موثقاً من الله ، لتأتنني به ، الا ان يحاط بكم . »

الجميع ـ نقسم بالله رب ابراهيم ...

يعقوب ـ « الله على ما نقول وكيل » لن اخاف عليه شراً « فالله خير حافظا ، وهو ارحم الراحمين . » « يا بني لا تدخلوا من باب واحد ، وادخلوا من ابواب متفرقة ، وما اغني عنكم من الله من شيء . » يا بني احملوا رحالكم الى الدار ولنحمد الله ربنا .

ـ يحملون الرحال ويدخلون ـ

١٩

ظهر ميت . يوسف في قصره ، في غرفة الطعام .

يوسف ــ في نفسه ــ سنتان تمران على الناس واشباح الموت تتراءى لهم ! والحاجة والفاقة كالدهر قائمتان ! . . .

ـ بعد برهة ـ

ما بال اخوتي لم يعودوا ؟! اظن ابي قد ضنَّ عليهم ببنيامين يا ليتني اخبرتهم بحقيقة امري ! هذه سنة تمر على ايابهم ، فقد آن لهم ان يعودوا

ـ يدخل رجل من رجال يوسف ـ

يوسف ــ ما شأنك ؟

الرجل ــ آن يا مولاي وقت الغذاء ، فصرفت الجند والخدم الى ديارهم .

يوسف ــ وانا هنا بانتظار الطعام ، فمر الخدم ان يسرعوا في احضاره .

الرجل ــ سمعاً وطاعة مولاي . ولكن يا سيدي اريد ان ابلغك ان في حديقة القصر رجالا كنعانيين ، قد جاؤوا ليمتاروا فهل

اعطيهم الآن لينصرفوا ؟

يوسف ــ لا ، لايجب ان يعودوا الآن ، اظنهم جائعين، وهــذا وقت الغذاء. فليأتوا الي ..

ـ يخرج الرجل ـ

يوسف ــ لنفسه ــ هم اخوتي وقد عادوا ومعهم اخي بنيامين !

ـ يدخل الرجل ووراءه اخوة يوسف ـ

يوسف ــ اهلاً بكم ، اجلسوا اجلسوا ، ستتناولون غذاء كم الان على مائدتي ، ثم تبتاعون وتذهبون .

روبين ــ شكراً لك ايها العزيز !

يوسف ــ الى الرجل ــ اذهب ومر الخدم يأتوني بغذائي وغــذاء الضيوف .

ـ يخرج الرجل ـ

يوسف ــ الى اخوته ــ اين اخوكم ؟

الاخوة ــ مشيرين الى بنيامين ــ ها هو ..

يوسف ــ مشيراً الى بنيامين ــ هذا هو اخوكم الصغير ؟

الاخوة ــ نعم .

يوسف ــ اليس لكم اولاد ؟

نفتالي ــ بلى ايها المولى .

يوسف ــ وكم عددهم ؟

جادا ــ اربعون ما عدا نساءنا .

يوسف ــ اربعون ؟ اداموهم الله ! والقحط لا يزال مستمراً في بلادكم ؟

روبين ــ يا سيدي ان بلادنا قد جفت ، ونزلت فيها المصائب من جراء الفاقة ، فالحيوانات هلكت والنساء تشردت والاولاد تموت جوعاً . . .

يوسف ــ مضطرباً ــ وهل نزلت بكم مصيبة ؟!

زبولون ــ ان نعمكم تغمرنا وتغيثنا دائماً . .

ـ يدخل الخدم ويجيئون المائدة ـ

يوسف ــ الى اخوانه ــ انهضوا ، تقدموا الى المائدة .

الاخوة ــ لا نتقدم عليك مولانا .

يوسف ــ مبتعداً عنهم ــ انا آكل على حدة ، تقدموا وابدأوا بالاكل . .

ـ يتقدمون ـ

جادا ــ تعال يا اشير واجلس تجاهي .

ـ يجلسان ـ

نفتالي ــ وانت يا دانا تعال .

ـ يجلسان ـ

زبولون ــ تعال يا اخي يا روبين .

ـ يجلسان ـ

يهوذا ــ اقترب يا لاوي .

ـ يجلسان ـ

ـ يجلس الاخوة كل تجاه اخيه ، ويبقى
بنيامين واقفاً لا يجد مكاناً ـ

روبين ـ بنيامين ، اخي ، تعال وكل معي .
نفتالي ـ دعه ، دعه ! ..
همس ـ دعوه ، دعوه ..
يوسف ـ الى بنيامين ـ ما بالك يا فتى ؟ اجلس .
بنيامين ـ بحياء ـ لايوجد مكان يا مولاي .
يوسف ـ لا بأس ، تعال وكل معي .
بنيامين ـ لا يامولاي !
يوسف ـ اسرع ، اسرع يافتى لاتخجل .

ـ يتقدم ، ويجلس تجاه يوسف ،
ويبدأون بالاكل ـ

نفتالي ـ همساً ـ يأكل مع العزيز ...
اشير ـ بغيرة ـ ماذا يأكل يا ترى ؟
همس ـ بحسد ـ لقد احبه العزيز ...

ـ بعد مدة ينهضون وقد التهموا الطعام
التهاماً ! ـ

روبين ـ شكراً ايها العزيز .
الجميع ـ ادام الله خيرك ايها العزيز .
يوسف ـ الى الخدم ـ اخرجوا المائدة .

- يخرجونها -

يوسف ـ الى اخوته ـ ظلوا هنا ، وليذهب معي احدكم لاملي. جواليقكم ..

روبين ـ انا اذهب معك ايها المولى .

- يخرجان -

دانا ـ ما اجمل حظ بنيامين !

نفتالي ـ لقد اكل مع العزيز !

جادا ـ الى بنيامين ـ ماذا اكلت يا بنيامين ؟

بنيامين ـ اكلت طعاماً لذيذاً ...

اشير ـ ليتني كنت مكانه!...

شمعون ـ ما الطف هذا العزيز ، كم هو متواضع!

لاوي ـ شبعت يا يساكر ؟

يساكر ـ وخبأت في جيبي.

زبولون ـ وانا ايضاً خبأت قطعة من الخبز وقطعتين من اللحم ...

البعض ـ ياليتنا خبأنا !

يهوذا ـ والله لقد اكرم العزيز ضيافتنا ، وما كنا باهل لهذا الاكرام ففي كل جسد من اجسادنا ذئب غادر ماكر ! ومتى كانت الذئاب اهلا للاكرام ؟ تالله لن تقوم لنا قائمة ما دام الحسد مسيطراً على اقوالنا واعمالنا ، والطمع قبلتنا ورائدنا ،

والفسق والفساد متغلغلين بيننا !

- يدخل يوسف وروبين -

روبين – هلموا يا اخوتي ، فرحالنا قد هيأت .

الاخوة – الى يوسف – شكراً لك ايها العزيز ، نستودعك الله .

يوسف – بالامان .

- يخرجون . بعد برهة يصفق يوسف فيدخل غلام -

يوسف – من اخذ صواع الملك من هنا ؟ الصواع الصواع ! اذهب ناد الكنعانيين ! اسرع ! لقد سرقوا الجام !..

الغلام – في الباب – « ايتها العير انكم لسارقون ! » تعالوا ايها الكنعانيون ، عودوا ايها السارقون !

- يعود اخوة يوسف ويدخلون -

الاخوة – دهشين – « ماذا تفقدون ؟! »

الغلام – « نفقد صواع الملك ، ولمن جاء به حمل بعير ، وانا به زعيم ! »

يوسف – الى اخوته – هذاهو جزاؤنا ايها الرجال؟! اكرمنا ضيافتكم فسرقتمونا ؟!

روبين – « تالله ، لقد علمتم ، ما جئنا لنفسد في الارض ، وما كنا سارقين ! »

الغلام – الآن نرى من هو السارق !... اخرجوا وأتوا باوعيتكم !

- يخرجون . ويعود كل منهم حاملا جوالقه -

الغلام – الآن نرى السارق ! «فما جزاؤه ان كنتم كاذبين ؟! »
الاخوة – يسجن ! يقتل ! يعذب !
نفتالي – « جزاؤه ، من وجد في رحله فهو جزاؤه ! »
يوسف – الى اخوته – سابحث في اوعيتكم !

- يتقدم يوسف الى الاوعية ، ثم يستخرج الصواع من وعاء بنيامين -

يوسف – حاملا الجام – هذا هو ايها السارقون !
الغلام – الى بنيامين – صغير وتسرق ؟ ! اعوذ بالآلهة من شرك !
بنيامين – والله لم اسرق ايها العزيز ، اني لم ار هذا الصواع ! فكيف دخل وعائي !
الاخوة – الى بنيامين – قاتلك الله يا بنيامين ! ...
شمعون – فضحتنا !
يساكر – سودت وجوهنا !
نفتالي – ايها العزيز « ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل » فلا تلمه !
يوسف – ومن هو ؟ !
نفتالي – مات ، وخلصنا منه !
جادا – وها هو اخوه ابن امه يرثه !
يوسف – لا رده الله !

نفتالي – واتبع به اخاه !

يوسف – وماذا سرق ؟ !

يساكر – سرق صنماً وحطمه !

زبولون – وبيضة واعطاها الى سائل دون ان يخبرنا ! . . .

نفتالي – ومرة ، اخذ دجاجة ، واعطاها لفقير لا نعرفه ! ومنطقة ثمينة اخذها لنفسه ! سرق كثيراً يا مولاي ، ولقد خلصنا منه ! . . لا رده الله ! . . .

يوسف – الى الغلام – اذهب وائتني بجندي ليجر هذا السارق الى السجن ! . . .

بنيامين – باكياً – عفوك سيدي ! والله لم اسرق !

روبين – « يا ايها العزيز ان له اباً شيخاً فخذ احدنا مكانه ، انا نراك من المحسنين ! »

يوسف – « معاذ الله ، ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ، انـا اذاً لظالمون ! »

ـ بعد برهة يدخل الغلام والجندي ـ

يوسف – الى الجندي ، مشيراً الى بنيامين – كبل هذا السارق !

ـ يتقدم الجندي ويكبل بنيامين ـ

– الى اخوته – اذهبوا انتم الى بلادكم !

نفتالي – هلموا ولندعه هنا !

يهوذا – وكيف ؟!

نفتالي – ومن اجبره على السرقة ؟

البعض – لنتركه ونمض الى بلادنا ...

روبين – « ألم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقاً من الله ، ومن قبل ما فرطتم في يوسف ، فلن ابرح الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي ، وهو خير الحاكمين ! »

يهوذا – الى روبين – ونحن ؟

روبين – « ارجعوا الى ابيكم ، فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق » فسجنه العزيز !

– يخرجون –

يوسف – الى الجندي – فك قيوده واذهب .

– يفك الجندي قيود بنيامين ويمضي –

– الى الغلام – وانت انصرف .

– يخرج –

– الى اخيه – لِمَ لمْ يجلسوك معهم على المائدة ؟!

بنيامين – كل جلس تجاه اخيه ، واما انا فليس لي اخ ، ولم يبق لي مكان اجلس فيه !

يوسف – ليس لك اخوة ابداً ؟!

بنيامين – كلا ! تقول لي امي انه كان لي اخ ، مات وهو صغير !

يوسف – وما اسمه ؟

بنيامين – اسمه يوسف ، ولو بقي حياً لاجلسني تجاهه ، واكلت معه !

يوسف – الا تقبل بي اخاً لك ؟

بنيامين – لاتهزأ ياسيدي !

يوسف – انا لا اهزأ يا بنيامين !

بنيامين – وكيف ارفض هذه النعمة ؟ ! ولكن ليس يعقوب اباك ، ولم تلدك راحيل !

يوسف – باكياً – « انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ! »

بنيامين – انت اخي ؟! لا تسخر مني يا سيدي ، اخي مات منذ ثلاث وعشرين سنة !

يوسف – يا اخي ، انا يوسف ! ابي يعقوب ، وامي راحيل ، وبيتنا في شكيم !

بنيامين – أحقاً ما تقول يا مولاي ؟! ولكن كيف بُعثت حياً ، وقد كنت ميتاً ؟! لا لا ، لا تهزأ يا سيدي !

يوسف – انا لم امت يا اخي ، وغداً تعلم قصتي . ولقد وضعت صواع الملك في وعائك لآخذك اسيراً ، ثم افك قيدك ، واطلعك على امري ، واكاشفك سري ...

بنيامين – اذكر ان ابي قال لي يوماً ان لأخي يوسف شامة في ساعده الايمن ، فأرني ايها العزيز هذه الشامة ، ان كنت حقاً اخي !

يوسف – مشمراً عن ساعده – انظر يا بنيامين ، هذه هي الشامة .

بنيامين – مرتمياً بين يدي اخيه – اخي ، اخي ! يوسف ، يوسف !

- يضمه يوسف الى صدره ويقبله -

يوسف – قم يا اخي ، انهض ، واياك ان تخبر احداً بذلك ، سأضعك عندي سجيناً ، تعينني في اعمالي واشركك في امري ...

بنيامين – باكياً فرحاً – كما تريد يا اخي ، سأظل عندك .

- ينهضان ويخرجان -

صوت الله – « وكذلك كدنا ليوسف ، ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ، الا ان يشاء الله ، نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ... »

٢٠

عشية نائمة . في ارض كنعان .
يعقوب في داره وامامه امرأته .

يعقوب — الى راحيل — لله ما اشد القحط يا راحيـل ! لقد هلك الناس جوعاً ! ذلك ليبلوهم الله !..

راحيل — ما اقسى حياتنا يا يعقوب ! الجوع ولا حياتي السوداء !

يعقوب — تجلدي يا راحيل ، فالفرج قريب !

- تسمع ضجة في الخارج -

راحيل — اني لاسمع ضجة !

يعقوب — اظنهم عادوا من مصر !

راحيل — وعاد معهم بنيامين !

- يدخل ابناء يعقوب -

يعقوب — ها هم داخلون .

راحيل — واقفة — اين بنيامين ؟ !

يعقوب — اين بنيامين ؟ ! واين روبين ؟ !

يهوذا — يا ابانا ان ابنك سرق فسجنه العزيز !

راحيل — وامصيبتاه ؟

ـ تخور قواها وتقع على الارض نائحة ـ

يعقوب — وماذا سرق ؟ !

الجميع — سرق صواع الملك !...

يعقوب — وروبين ؟

يهوذا — لقد قال انه لن يبرح مصر حتى تأذن له ..

يعقوب — « بل سولت لكم انفسكم امراً ، فصبر جميل ، عسى الله ان يأتيني بهم جميعاً ، انه هو العليم الحكيم ... »

راحيل — بصوت مخنوق — الاثنان يا الله ...

يعقوب — « واأسفاه على يوسف ... »

نفتالي — لا تزال تذكر يوسف ؟...

اشير — « تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً او تكون من الهالكين ! . »

يعقوب — « انما اشكو بثي وحزني الى الله ! واعلم من الله ما لا تعلمون »

شمعون — قم يا ابي ، لنصلي وندعو الله ان يلهم العزيز فيرحم بنيامين ويعفو عنه ...

يعقوب — دعوني ، لقد انطفأ نور عيني ، ولم اعد ارى طريقي . لقد ابيضت عيناي من الحزن ! دعوني في هذه الزاوية ، اصلي لله في قرارة نفسي ..

جادا – دعوه ولنمض الى بيوتنا ...

همس – بمكر – دعوه دعوه .. دعوه يصلي لله في قرارة نفسه ..

يعقوب – « يا بني اذهبوا وتحسسوا من يوسف واخيه ، ولا تيأسوا من روح الله ؛ انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون »

همس – لقد ينسنا منك ومن روح الله ...

– يخرجون –

راحيل – تزحف الى زوجها – تعال يا يعقوب ، تعال نمت في هـذا الليل الهادي. ...

– يكتسح الظلام الدار –

صوت الله – « ... ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا ... »

٢١

صحوة مبتسمة . يوسف في قصره جالس على سريره . وامامه بنيامين .

– يدخل غلام –

يوسف – ما خطبك ؟

الغلام – سيدي ، في الباب رجال كنعانيون يطلبون المثول بين يديك .

يوسف – دعهم يدخلون .

الغلام – في الباب – ادخلوا .

– يدخل اخوة يوسف –

يوسف – نفد زادكم ؟

يهوذا – «يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ، ان الله يجب المتصدقين . »

يوسف – ليعذبكم الله اينما كنتم ! « هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون ؟! »

بنيامين – فرحاً مشيراً الى يوسف – هذا يوسف يا اخوتي !

روبين – فرحاً باكياً – « أأنك لانت يوسف ؟! »

الجميع – دهشين – انت يوسف ؟ !

يوسف ـ « انا يوسف ،

ـ مشيرا الى بنيامين ـ

وهذا اخي ، قد منّ الله علينا ، انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين ! »

ـ يتقدم الجميع من يوسف ويرتمون عليه فرحين ، الا نفتالي وجادا ودانا واشير فيتقدمون ببطء ...ـ

نفتالي ـ « تالله لقد آثرك الله علينا ! »

روبين ـ يا اخانا اغفر لنا ..

يوسف ـ «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين» عودوا وائتوني بابي وامي وازواجكم وبنيكم اجمعين .

شمعون ـ الى يوسف ـ يا اخانا ، لقد ابيضت عينا ابيك من الحزن!

يوسف ـ يخلع قميصه ـ « اذهبوا بقميصي هذا ، فالقوه على وجه ابي يأت بصيراً ، وائتوني باهلكم اجمعين ... » وليبق هنا روبين وبنيامين ...

الاخوة ـ يأخذون القميص ـ انا لذاهبون

جادا ـ هامساً في اذن نفتالي ـ ارأيت ؟...

نفتالي ـ في نفسه ـ لقد صدقت احلامه ...

جادا ـ هلكنا يا نفتالي ، غداً ينتقم لنفسه ...

ـ يخرجون ـ

٢٢

اصيل ضاحك . في ارض كنعان . يعقوب في داره لايزال قابعاً في زاويته ، وامامه امرأته في شبه غيبوبة . .

يعقوب — الى راحيل — « اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون ! »
تنشقي يا راحيل هذا الهواء ! الا تشمين ريح يوسف ؟ !

راحيل — باكية — « تالله انك لفي ضلالك القديم ! »

يعقوب — ريح يوسف في داري ! ريح يوسف مع الهواء ! شمي يا راحيل شمي !

راحيل — دعني في حزني ، ولا تجرب ان تخفف من آلامي !

ـ بعد برهة يدخل ابناء يعقوب فرحين ـ

يعقوب — ريح يوسف ! ريح يوسف !

يهوذا — هذا قميص يوسف يا ابي !

راحيل — قميص يوسف؟ !

شمعون — لقد وجدنا يوسف يا ابي .

يعقوب — اين ؟

راحيل — يوسف ، اين يوسف ؟!

نفتالي – لقد اصبح يوسف عزيز مصر .

جادا – هو الذي يوزع الارزاق على الناس .

يهوذا – لقد قال لنا اذهبوا بقميصي هـذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيراً وائتوني باهلكم اجمعين .

يعقوب – هات القميص .

راحيل – اعطني القميص .

– يتقدم يهوذا ويلقي القميص على وجه ابيه –

يعقوب – آه ... لقد عادت الحياة الى قلبي، وعاد النور الى عيني! ..

راحيل – آخذة القميص – يوسف ، يوسف ..

يهوذا – « يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين »

يعقوب – « سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم »، « حسبي ان يوسف ابني لايزال باقياً ، امضي واراه قبل ان اموت » .

هلموا يا بني ، استعدوا للنزول الى ارض مصر ، استعدوا لنودع ارض كنعان الوداع الاخير ، فقد نزل الوحي علي قائلا : « يعقوب ، يعقوب ، انا الله اله ابيك ، لاتخف من النزول الى مصر لاني اجعلك امة عظيمة هناك ... »

– ناهضاً – هلموا لنصلي لله آخر صلاة في ارض كنعان ، وفي الغد نسير الى مصر ، الى الارض التي اختارها الله لنا ...

– يخرجون –

٢٣

في صحراء سيناء . . يعقوب وزوجه وابناؤه ونساؤهم وحفدته في طريقهم الى مصر . . . الجمع يسير في امواج من الرياح والرمال ، تحت اشعة الشمس الحارة ! . . يتقدمون في الفضاء الرحب جادين في سيرهم ويتغلغلون في خضم الصحراء ، فتظهر اشباحهم من خلال حجاب البعد ، تاركين وراءهم صدى اصواتهم المتردد في جنبات الارض . .

الصدى — الوداع الوداع ، يا ارض كنعان الوداع !

- تضطرب السماء ، وتعصف الرياح وتثور الرمال ! . . . -

صوت الله — مع الرعد — « لن تدخلوا الارض التي رفعت يدي مقسما ان اسكنكم فيها ! »

« في هذا البر تسقط جثثكم ! . . . »

« وبنوكم يكونون رعاة في البرية اربعين سنة ، ويحملون فجوركم الى فناء اجسادكم فيها ! . . . »

« انهم في هذه البرية ينقرضون ، وها هنا يموتون ! »

« انا الرب قد تكلمت ، فلاوقعن بجميع هذه الجماعة الشريرة المجتمعة علي ! . . . »

- يذوبون في البعد الرحيب -

٢٤

في صحراء .. على ابواب مصر ، يعقوب وزوجه وابناؤه ساجدون امام يوسف ... القوم هادؤن لا يسمع لهم ركز ..

يوسف — « يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل ، قد جعلها ربي حقاً .. »
« ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين »

— يستوي الساجدون —

— بعد فترة — الايمان يا ابي في كل قلب ، ودين الله في الارض مقيم ! ... لقد تغلغل دين ابراهيم في مصر مع الايام ، وان فرعون لمن المؤمنين ! ...

اصوات — تبارك المؤمنون ! تبارك المؤمنون ! ...

راعيل — امرأة يوسف — عيدي ايتها الارض ، واشرقي ايتها السماء ، فقد تلبد بينكما نور النبوة ! ...

يوسف — هنا في هذه الارض ، سيكون وطننا ووطن بني اسرائيل ! لن ننزح عن مصر بعد الآن ، ولن نعود الى ارض كنعان .

اصوات — لن نعود الى ارض كنعان ، لن نعود الى ارض كنعان ...

يوسف – اليوم تسكنون افضل ارض في مصر ، ستسكنون ارض رعمسيس ، وسترون فرعون عبداً من عبيد الله وفرداً من رعيتي ...

– يتحرك الجميع للدخول الى مصر –

نفتالي – يا ويلتنا ، لقد حكمنا يوسف ، وغدونا له عبيداً صاغرين !
جادا – كلا ، لن نكون عبيداً ليوسف !
صوت – لن نخضع ليوسف !
صوت – لن نقيم في هذه الارض !
اصوات – لن نستقر في بقعة ، سننتشر في انحاء الكون ، سنهيم تائهين!
يعقوب – لقد بؤتم بغضب من ربكم ، فاذهبوا جيفاً نتنة تنفر الاقوام منها ، اذهبوا فاسقين فاسدين منبوذين!.. كدتم لاخيكم طفلا والان تمكرون له مكراً !.. لقد سولت لكم انفسكم امراً ، فاذهبوا بعضكم لبعض عدو ، غضب الله عليكم ولعنكم ، واعد لكم عذابا اليما!...

– يسيرون الى ان يظهروا اشباحاً ... تتفرق الاشباح ، وتتشتت في انحاء الصحراء !...

صوت الله – « لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب .. »

AUB. LIBRARY

DATE DUE

JAFET LIB.
* -7 JUL 2015 *
Circulation Dept. 2

AUB. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES

00469909